فضاء الجرح

قراءات فى أدب الانتفاضة



إبراهيم سعفان

فضاء الجرح

فضاء الجرح

قراءات في أدب الانتفاضة

تصميم الغلاف: نهاد

إبراهيم سعفان

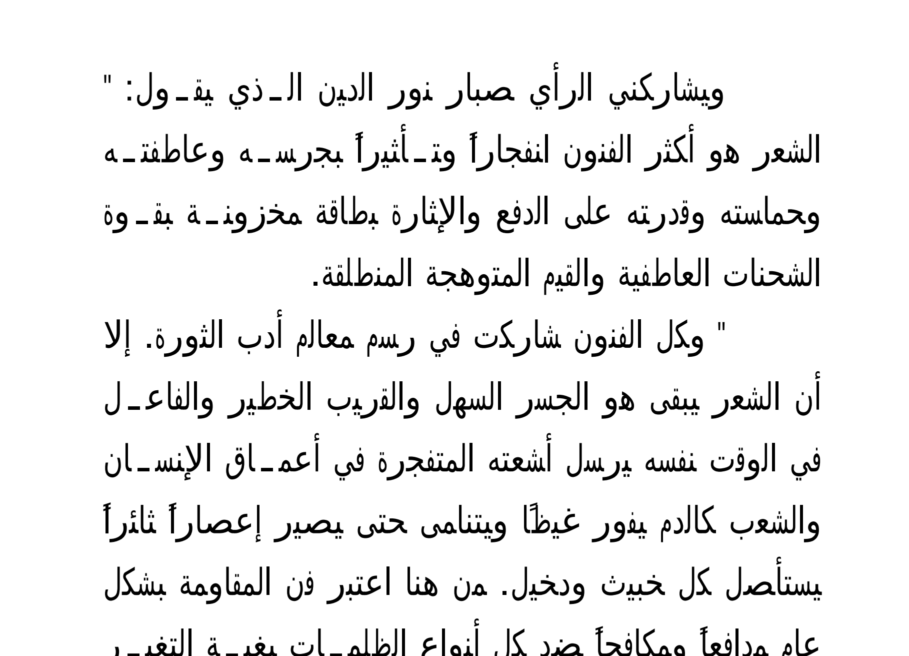
الجزء الأول

الشعر في الانتفاضة

(١) مقدمة:

ما زال الشعر أكثر الفنون استجابة فورية للأحداث، وأكثر تأثيراً في المتلقي، وما زال السجل المهم الذي يسجل الأحداث ويحفظها لنا في ذاكرته كمرجعية للدراسة والبحث، ولولا هذا لضاع مثلاً تاريخ الأدب الجاهلي.

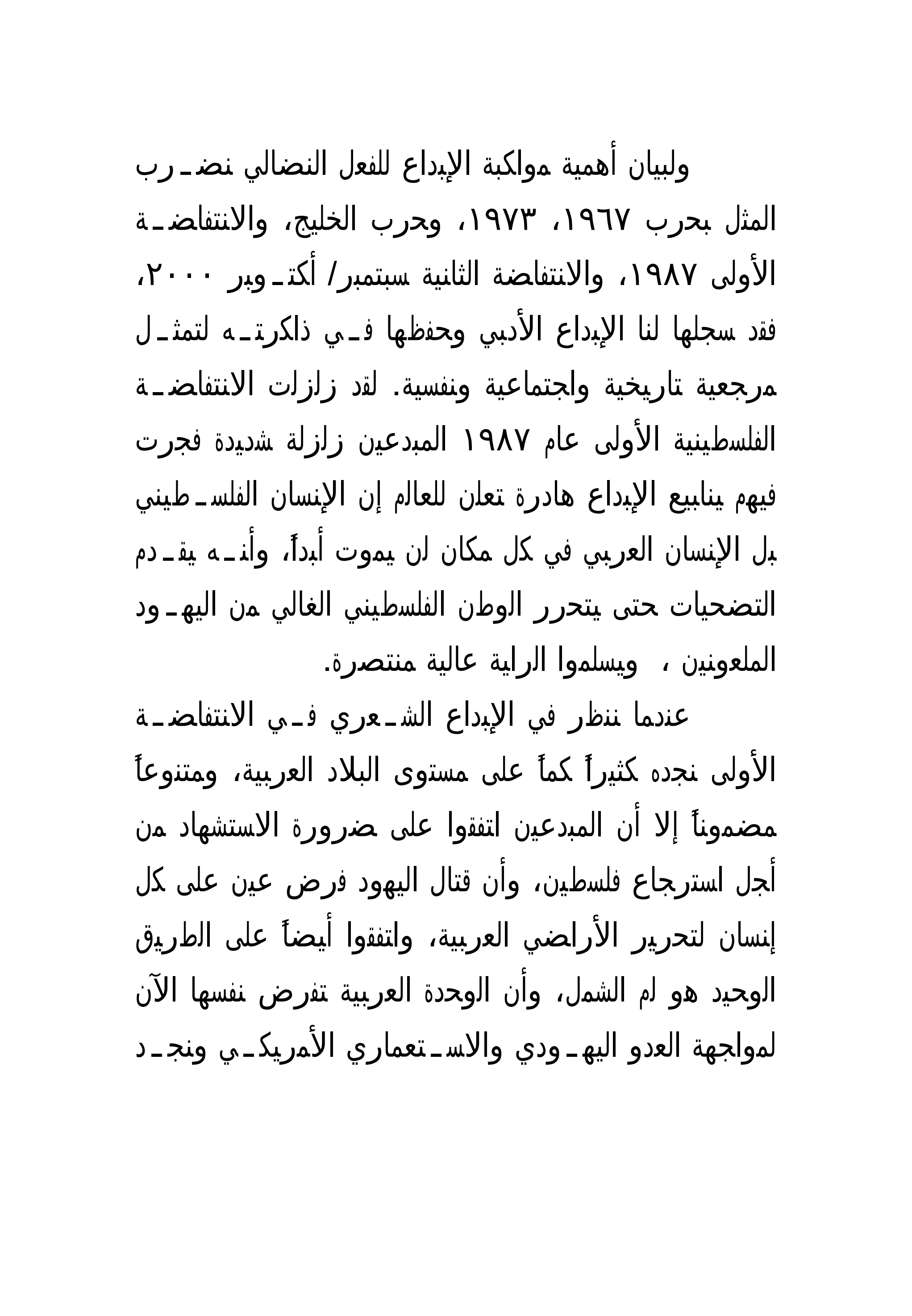
لهذا كان للشاعر وما زال مكانة مهمة في تاريخنا الأدبي يحتفي به، ويكرم لأنه يدافع عن القبيلة بشعره مثل المقاتلين بسهامهم. من هنا أرى أن مواكبة الإبداع الأدبي عامة والشعر خاصة للفعل النضالي أمر ضروري بصرف النظر عما قد يصيبه من آفات المباشرة والتقريرية لأنه وثيقة شاهدة على العصر، لهذا ألسنا مع بعض النقاد القائلين أن صمت شعراء المناسبات أفضل من إبداعهم لأنه سيكون ضعيفاً فنياً؟



ويشاركني الرأي صبار نور الدين الـذي يقـول: " الشعر هو أكثر الفنون انفجاراً وتـأثيراً بجرسـه وعاطفتـه وحماسته وقدرته على الدفع والإثارة بطاقة مخزونـة بقـوة الشحنات العاطفية والقيم المتوهجة المنطلقة.

" وكل الفنون شاركت في رسم معالم أدب الثورة. إلا أن الشعر يبقى هو الجسر السهل والقريب الخطير والفاعـل في الوقت نفسه يرسل أشعته المتفجرة في أعمـاق الإنسـان والشعب كالدم يفور غيظًا ويتنامى حتى يصير إعصاراً ثائراً يستأصل كل خبيث ودخيل. من هنا اعتبر فن المقاومة بشكل عام مدافعاً ومكافحاً ضد كل أنواع الظلمـات بغيـة التغيـر والتجديد وبقصد التنوير والتحرير "(١).

إذن، الإبداع الفني بأنواعه المختلفة له أثر فاعل في إيقاظ الشعور الوطني، والحث على الجهاد، وحشد الجماهير حول المناضلين يشدون من عزيمتهم، لهذا نحن في حاجـة شديدة إلى جميع الأصوات الأدبية والفنيـة لتشـدو بالفعـل النضالي، كل صوت حسب قدرته الفنية، وعلينـا أن نتـرك الحكم عليها للنقاد الذين يفرزون الجيد من الرديء.



ولبيان أهمية مواكبة الإبداع للفعل النضالي نضرب المثل بحرب ١٩٦٧، ١٩٧٣، وحرب الخليج، والانتفاضة الأولى ١٩٨٧، والانتفاضة الثانية سبتمبر/ أكتوبر ٢٠٠٠، فقد سجلها لنا الإبداع الأدبي وحفظها في ذاكرته لتمثل مرجعية تاريخية واجتماعية ونفسية. لقد زلزلت الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧ المبدعين زلزلة شديدة فجرت فيهم ينابيع الإبداع هادرة تعلن للعالم إن الإنسان الفلسطيني بل الإنسان العربي في كل مكان لن يموت أبداً، وأنه يقدم التضحيات حتى يتحرر الوطن الفلسطيني الغالي من اليهود الملعونين ، ويسلموا الراية عالية منتصرة.

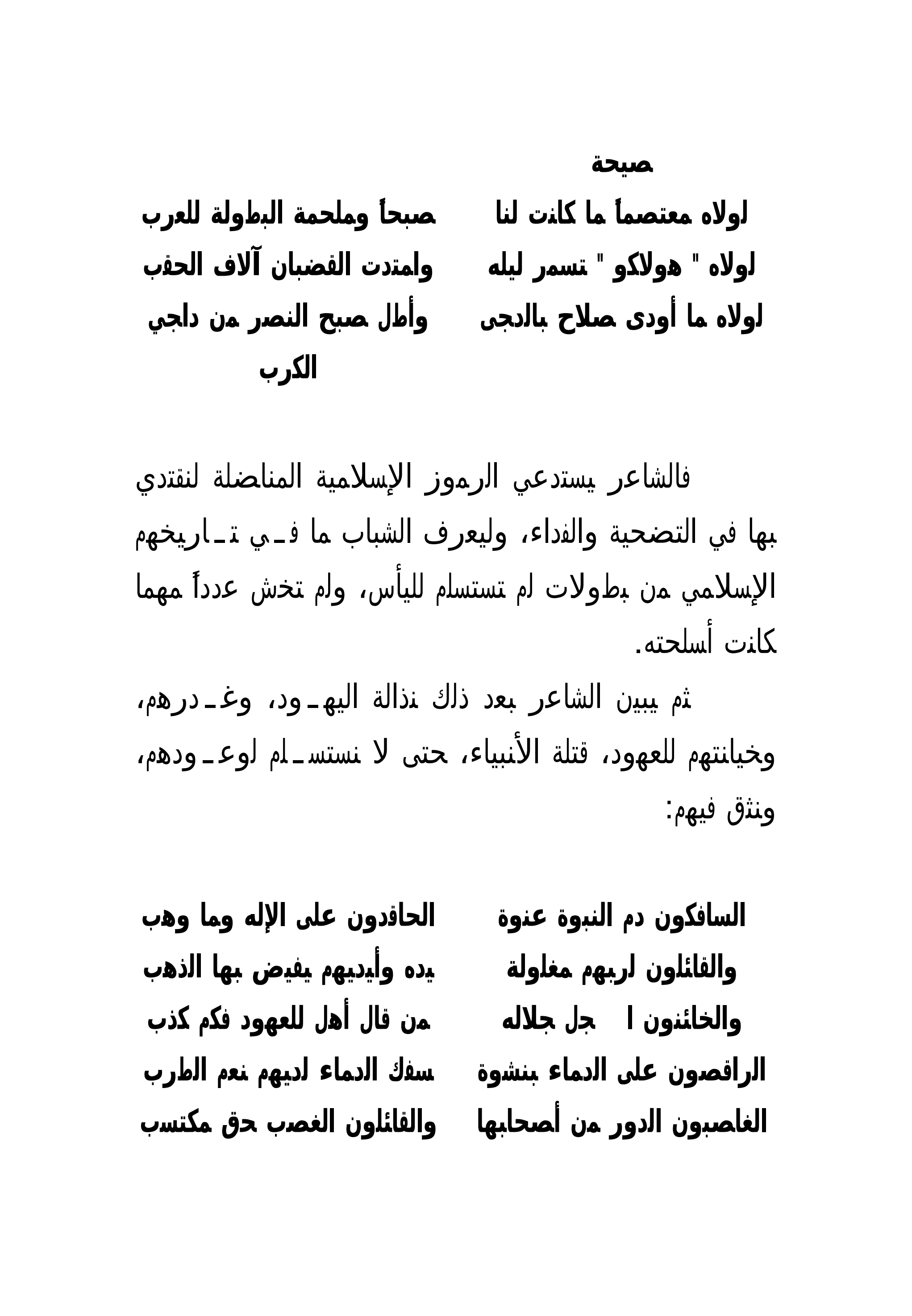
عندما ننظر في الإبداع الشعري في الانتفاضة الأولى نجده كثيراً كماً على مستوى البلاد العربية، ومتنوعاً مضموناً إلا أن المبدعين اتفقوا على ضرورة الاستشهاد من أجل استرجاع فلسطين، وأن قتال اليهود فرض عين على كل إنسان لتحرير الأراضي العربية، واتفقوا أيضاً على الطريق الوحيد هو لم الشمل، وأن الوحدة العربية تفرض نفسها الآن لمواجهة العدو اليهودي والاستعماري الأمريكي ونجد

الأهداف نفسها في الإبداع الذي واكب الانتفاضة الثانية وإن لم يصل إلى كثر الكمية في الانتفاضة الأولى.

(٢) بداية كل حريق شرارة:

إن الإبداع الشعري الغزير الذي واكـب الانتفاضـة لدليل على تجاوب الشعراء الكبير في جميع البلاد العربيـة، مما جعل عملية تناول هذا الكم بالدراسة أمراً صـعباً، لـذا أخذت بعض النماذج الشعرية لإعطاء صورة واضحة عـن الانتفاضة. في قصيدة " لا تشجبوا ... بل عـانقوا أطفـال الحجارة " للشيخ أبو زيد إبراهيم (كان يعمـل بالإمـارات واعظاً في دائرة الأوقاف بدبي وظل بها حتـى توفـاه ا) نجده يحذر من الاستسلام للسياسـة، والاسـتماع لصـوت الغضب الهادر الذي يعلو كل الأصوات، يقول:

لا تشجبوا حمم المجازر يا عرب ... بل عانقوا طفل الحجارة في اللهب
صوت السياسة فرقعات ملاعب ... في حومة الميدان يحرقها الغضب
صوت الردى المسحور أقوى ... ووسامة النصر المخلّد والغلب



صيحة

لولاه معتصماً ما كانت لنا ... صبحاً وملحمة البطولة للعرب

لولاه " هولاكو " تسمر ليله ... وامتدت القضبان آلاف الحقب

لولاه ما أودى صلاح بالدجى ... وأطل صبح النصر من داجي الكرب

فالشاعر يستدعي الرموز الإسلامية المناضلة لنقتدي بها في التضحية والفداء، وليعرف الشباب ما فـي تـاريخهم الإسلامي من بطولات لم تستسلم لليأس، ولم تخش عدداً مهما كانت أسلحته.

ثم يبين الشاعر بعد ذلك نذالة اليهـود، وغـدرهم، وخيانتهم للعهود، قتلة الأنبياء، حتى لا نستسـلم لوعـودهم، ونثق فيهم:

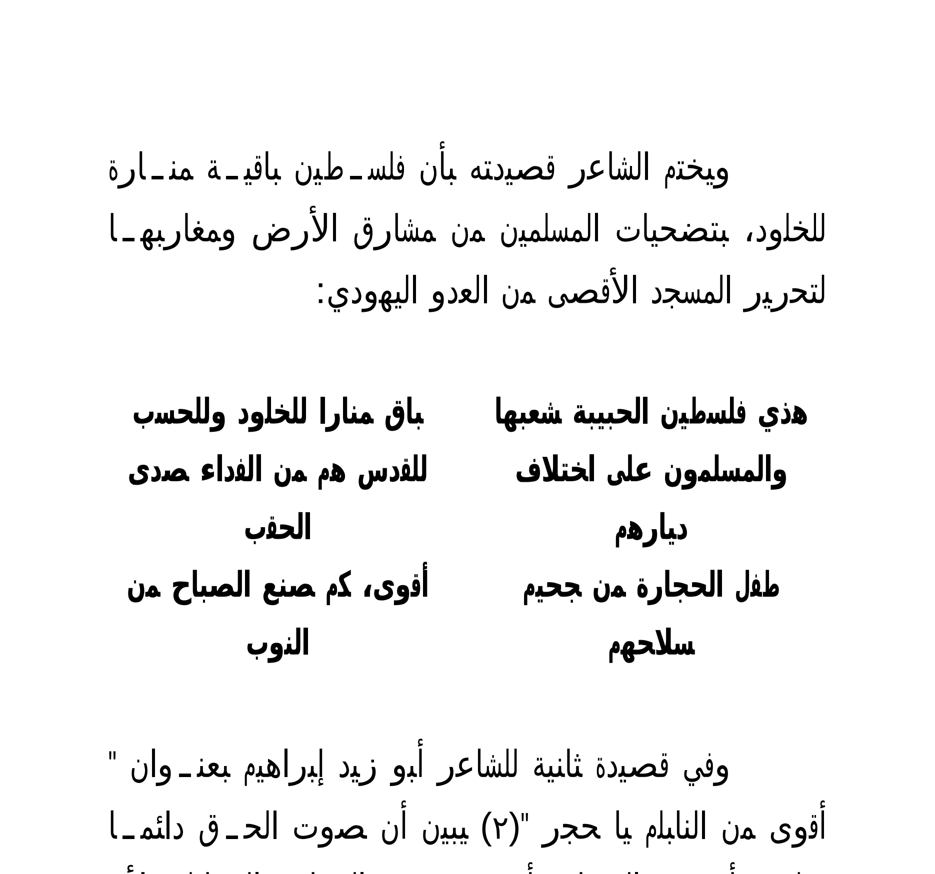
السافكون دم النبوة عنوة ... الحاقدون على الإله وما وهب

والقائلون لربهم مغلولة ... يده وأيديهم يفيض بها الذهب

والخائنون ا   جل جلاله ... من قال أهل للعهود فكم كذب

الراقصون على الدماء بنشوة ... سفك الدماء لديهم نعم الطرب

الغاصبون الدور من أصحابها ... والقائلون الغصب حق مكتسب

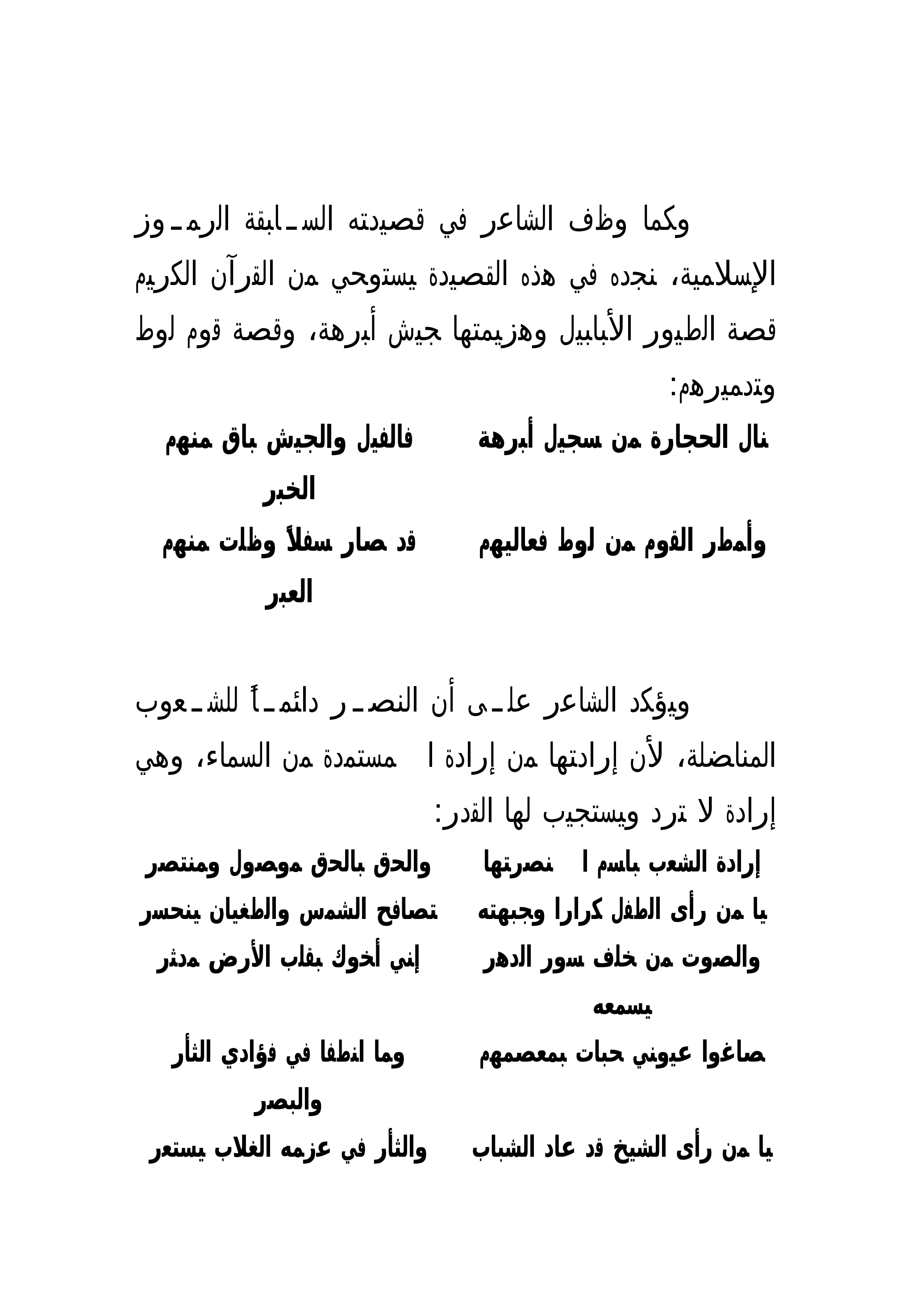


ويختم الشاعر قصيدته بأن فلسطين باقية منارة للخلود، بتضحيات المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها لتحرير المسجد الأقصى من العدو اليهودي:

هذي فلسطين الحبيبة شعبها ... باق منارا للخلود وللحسب
والمسلمون على اختلاف ديارهم ... للقدس هم من الفداء صدى الحقب
طفل الحجارة من جحيم سلاحهم ... أقوى، كم صنع الصباح من النوب

وفي قصيدة ثانية للشاعر أبو زيد إبراهيم بعنوان " أقوى من النابلم يا حجر "(٢) يبين أن صوت الحق دائما يعلو، وأن هذه الحجارة أقوى من النار والنابلم، لأن المناضلين يتسلحون بالإيمان:

أقوى من النار والنابلم يا حجر ... فجند صهيون خوفًا منك تنفطر
ما في يديه " سلاح " راح يشهره ... بل في يديه هو الإيمان والحجر



وكما وظف الشاعر في قصيدته الســابقة الرمــوز الإسلامية، نجده في هذه القصيدة يستوحي من القرآن الكريم قصة الطيور الأبابيل وهزيمتها جيش أبرهة، وقصة قوم لوط وتدميرهم:

نال الحجارة من سجيل أبرهة … فالفيل والجيش باق منهم الخبر

وأمطر القوم من لوط فعاليهم … قد صار سفلاً وظلت منهم العبر

ويؤكد الشاعر علــى أن النصــر دائمــاً للشــعوب المناضلة، لأن إرادتها من إرادة ا مستمدة من السماء، وهي إرادة لا ترد ويستجيب لها القدر:

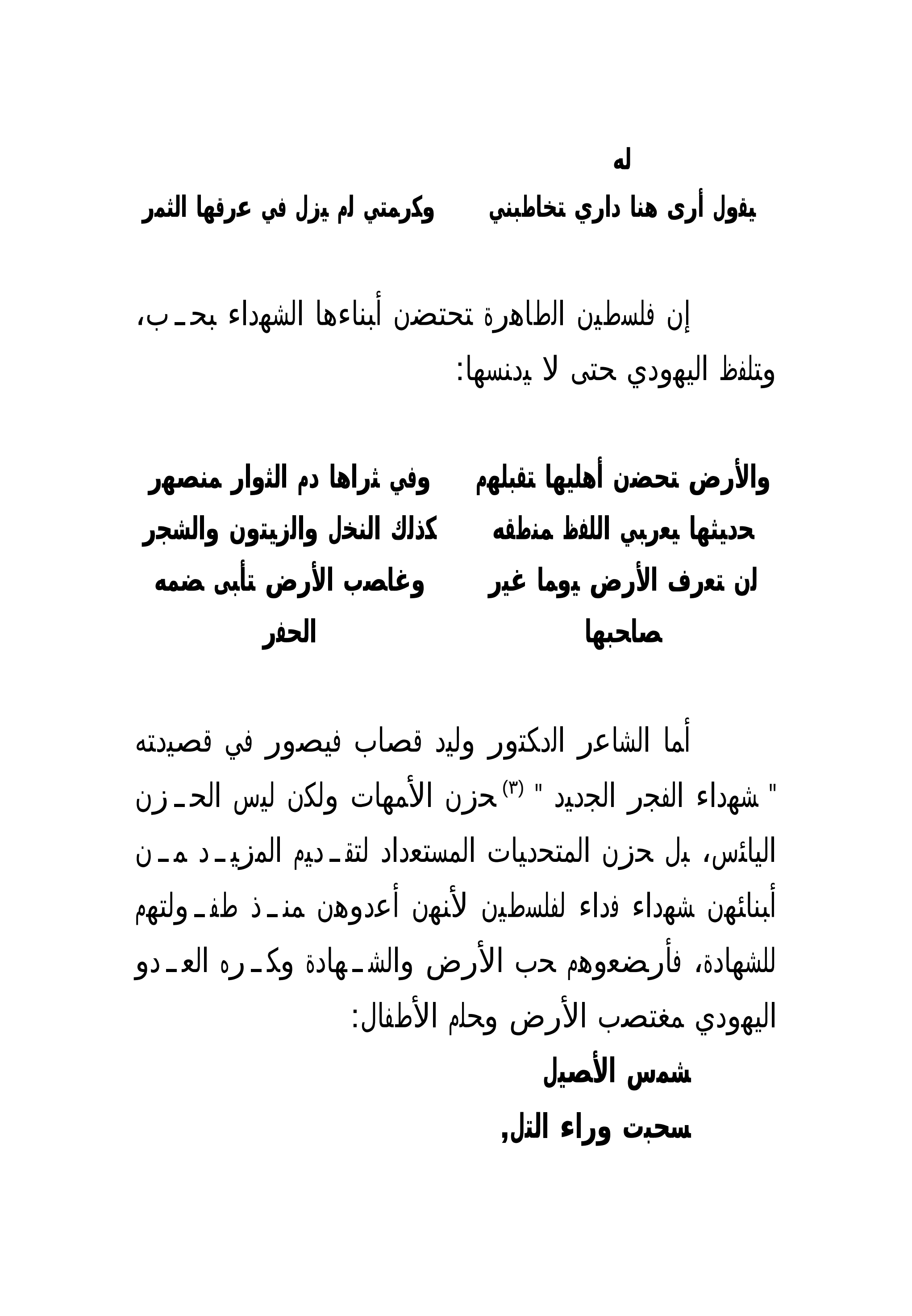
إرادة الشعب باسم ا نصرتها … والحق بالحق موصول ومنتصر

يا من رأى الطفل كرارا وجبهته … تصافح الشمس والطغيان ينحسر

والصوت من خاف سور الدهر يسمعه … إني أخوك بقلب الأرض مدثر

صاغوا عيوني حبات بمعصمهم … وما انطفا في فؤادي الثأر والبصر

يا من رأى الشيخ قد عاد الشباب … والثأر في عزمه الغلاب يستعر



له

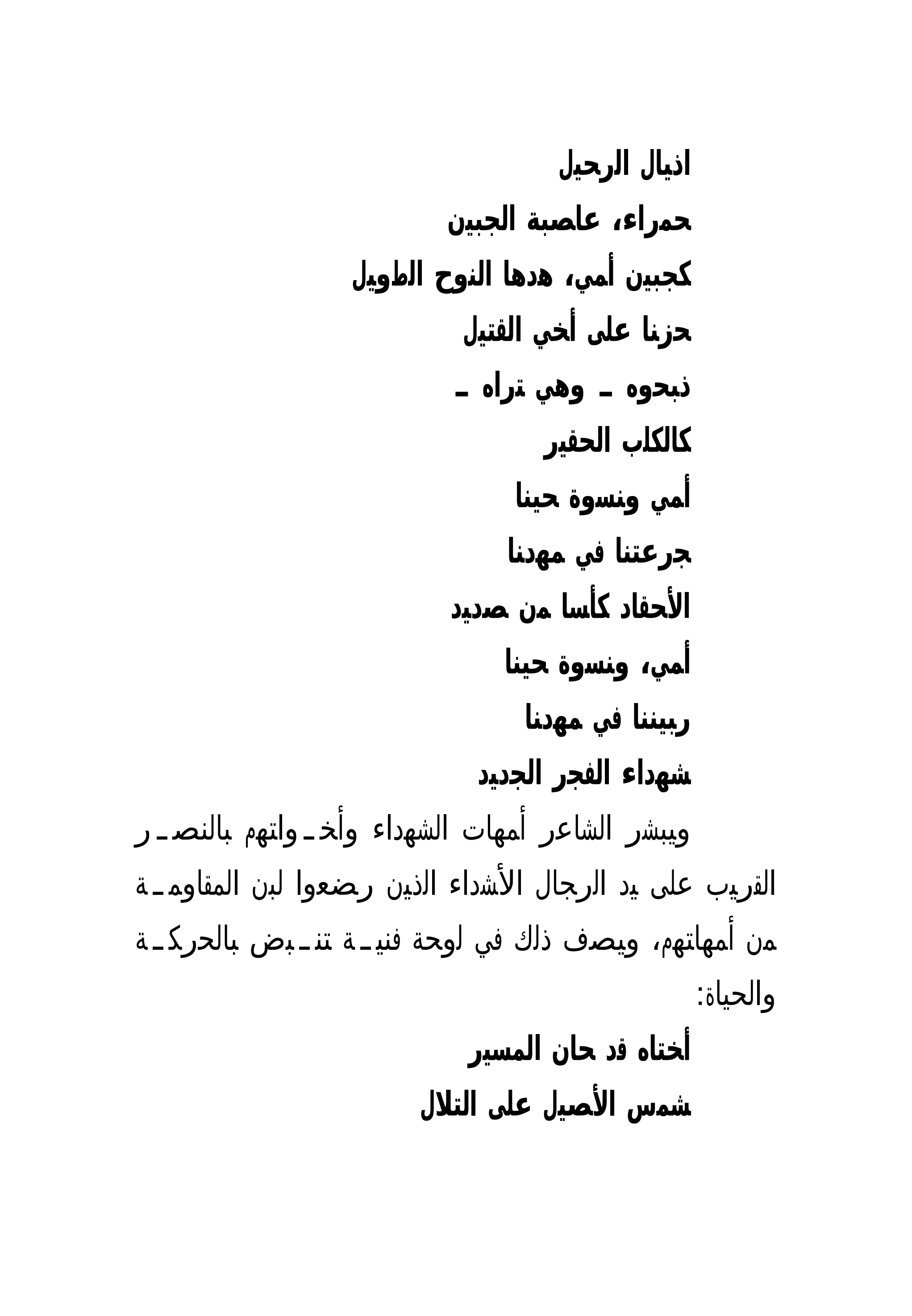
يقول أرى هنا داري تخاطبني ... وكرمتي لم يزل في عرقها الثمر

إن فلسطين الطاهرة تحتضن أبناءها الشهداء بحب، وتلفظ اليهودي حتى لا يدنسها:

والأرض تحضن أهليها تقبلهم ... وفي ثراها دم الثوار منصهر
حديثها يعربي اللفظ منطقه ... كذاك النخل والزيتون والشجر
لن تعرف الأرض يوما غير صاحبها ... وغاصب الأرض تأبى ضمه الحفر

أما الشاعر الدكتور وليد قصاب فيصور في قصيدته " شهداء الفجر الجديد " [٣] حزن الأمهات ولكن ليس الحزن اليائس، بل حزن المتحديات المستعداد لتقديم المزيد من أبنائهن شهداء فداء لفلسطين لأنهن أعدوهن منذ طفولتهم للشهادة، فأرضعوهم حب الأرض والشهادة وكره العدو اليهودي مغتصب الأرض وحلم الأطفال:

شمس الأصيل
سحبت وراء التل,



اذيال الرحيل

حمراء، عاصبة الجبين

كجبين أمي، هدها النوح الطويل

حزنا على أخي القتيل

ذبحوه ـ وهي تراه ـ

كالكلاب الحقير

أمي ونسوة حينا

جرعتنا في مهدنا

الأحقاد كأسا من صديد

أمي، ونسوة حينا

ربيننا في مهدنا

شهداء الفجر الجديد

ويبشر الشاعر أمهات الشهداء وأخـواتهم بالنصـر القريب على يد الرجال الأشداء الذين رضعوا لبن المقاومـة من أمهاتهم، ويصف ذلك في لوحة فنيـة تنـبض بالحركـة والحياة:

أختاه قد حان المسير

شمس الأصيل على التلال

سحبت ملاءات الزوال

اليوم يجتمع الرجال

حلما ألذّ من الخيال

أدوا صلاة النصر

في صمت عميق

عرف الطريق

ثم أنثنوا خاف التلال

يضمهم درب سحيق

أما الشاعرة فدوى طوقان فترى أطفـال الحجـارة يحملون قلوبهم على أكفهم حجـارة يرجمـون بهـا العـدو اليهودي، ويرسمون طريق المستقبل للنصر، فتقول في قيدته ا " شهداء الانتفاضة " (٤).

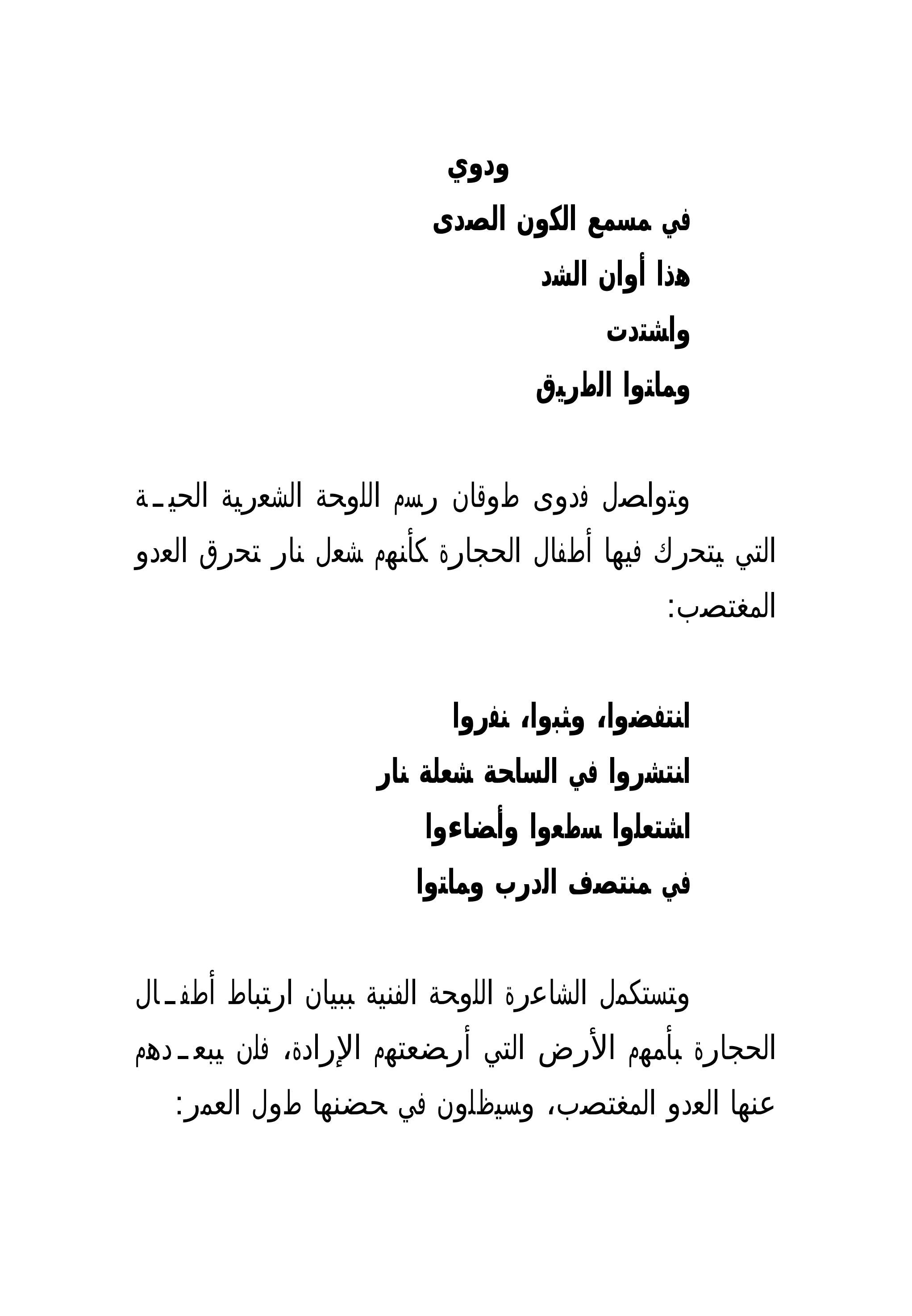
رسموا الطريق إلى الحياة

ورصفوه بالمرجان بالمهج الفتية، بالعقيق

رفعوا القلوب على الأكف حجـارة، قـارورة تلـد الحريق

رجموا بها وحش الطريق

هذا أوان الشد فاشتدي



ودوي

في مسمع الكون الصدى

هذا أوان الشد

واشتدت

وماتوا الطريق

وتواصل فدوى طوقان رسم اللوحة الشعرية الحيـة التي يتحرك فيها أطفال الحجارة كأنهم شعل نار تحرق العدو المغتصب:

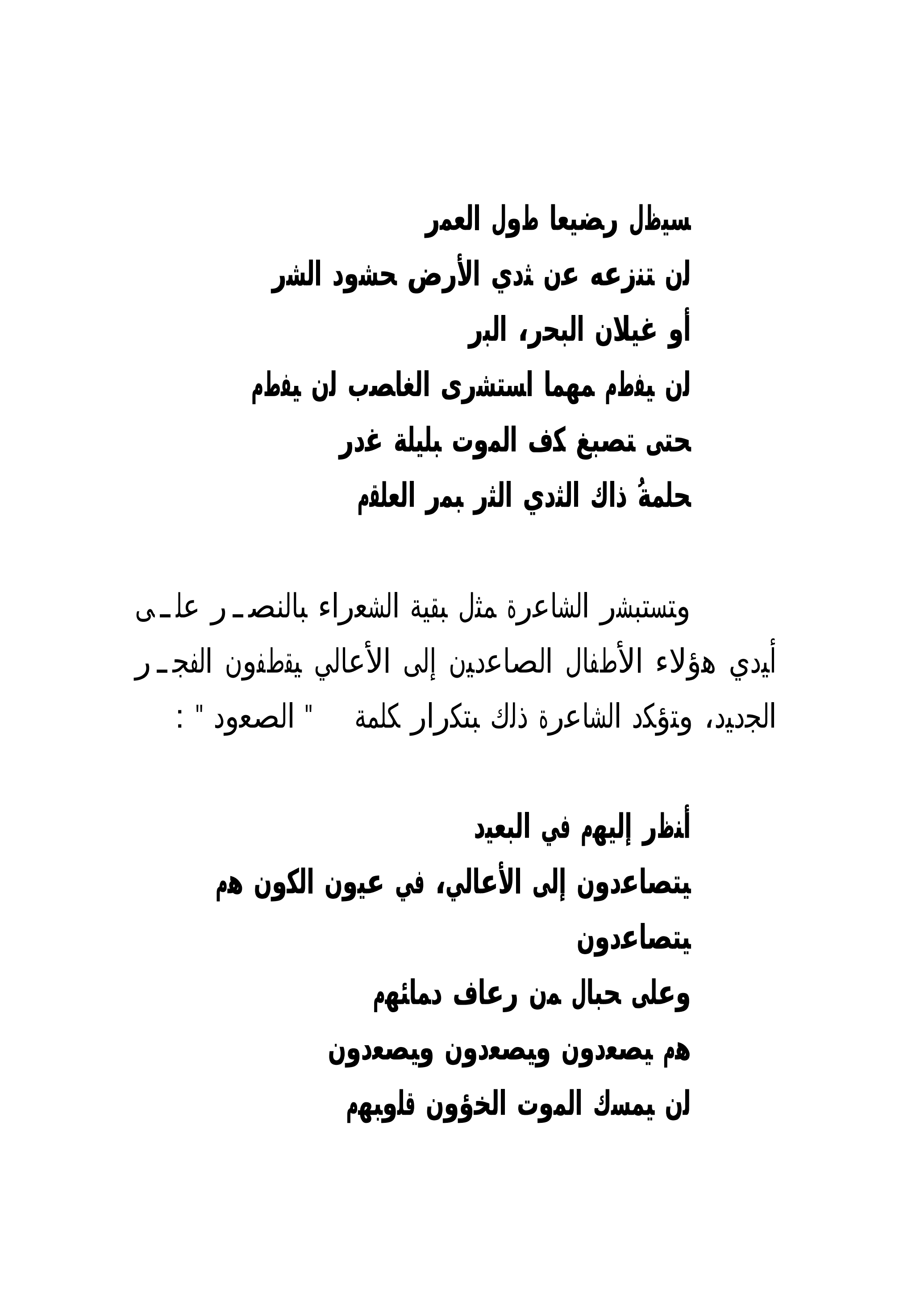
انتفضوا، وثبوا، نفروا

انتشروا في الساحة شعلة نار

اشتعلوا سطعوا وأضاءوا

في منتصف الدرب وماتوا

وتستكمل الشاعرة اللوحة الفنية ببيان ارتباط أطفـال الحجارة بأمهم الأرض التي أرضعتهم الإرادة، فلن يبعـدهم عنها العدو المغتصب، وسيظلون في حضنها طول العمر:



سيظل رضيعا طول العمر

لن تنزعه عن ثدي الأرض حشود الشر

أو غيلان البحر، البر

لن يفطم مهما استشرى الغاصب لن يفطم

حتى تصبغ كف الموت بليلة غدر

حلمةُ ذاك الثدي الثر بمر العلقم

وتستبشر الشاعرة مثل بقية الشعراء بالنصـر علـى أيدي هؤلاء الأطفال الصاعدين إلى الأعالي يقطفون الفجـر الجديد، وتؤكد الشاعرة ذاك بتكرار كلمة " الصعود " :

أنظر إليهم في البعيد

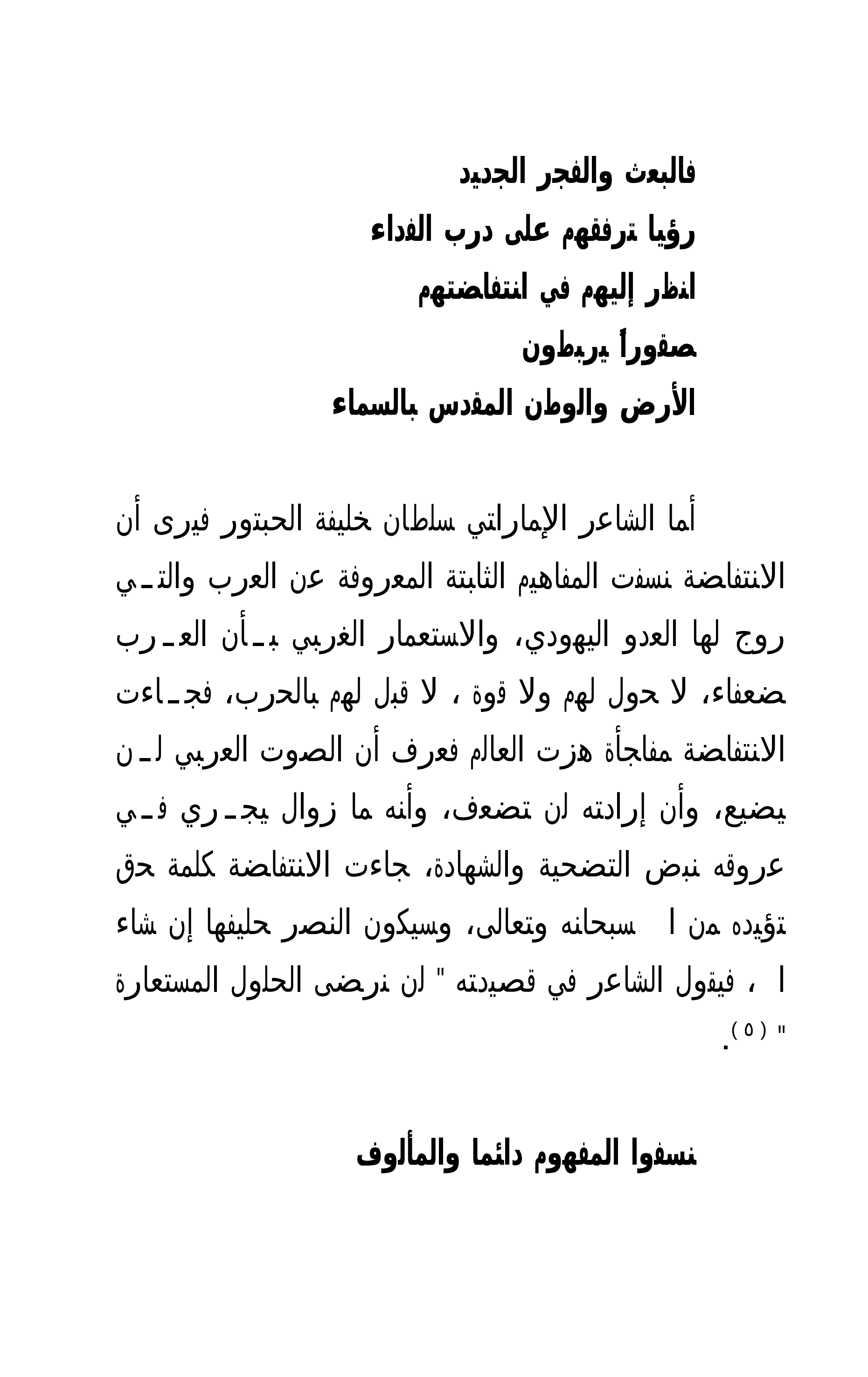
يتصاعدون إلى الأعالي، في عيون الكون هم

يتصاعدون

وعلى حبال من رعاف دمائهم

هم يصعدون ويصعدون ويصعدون

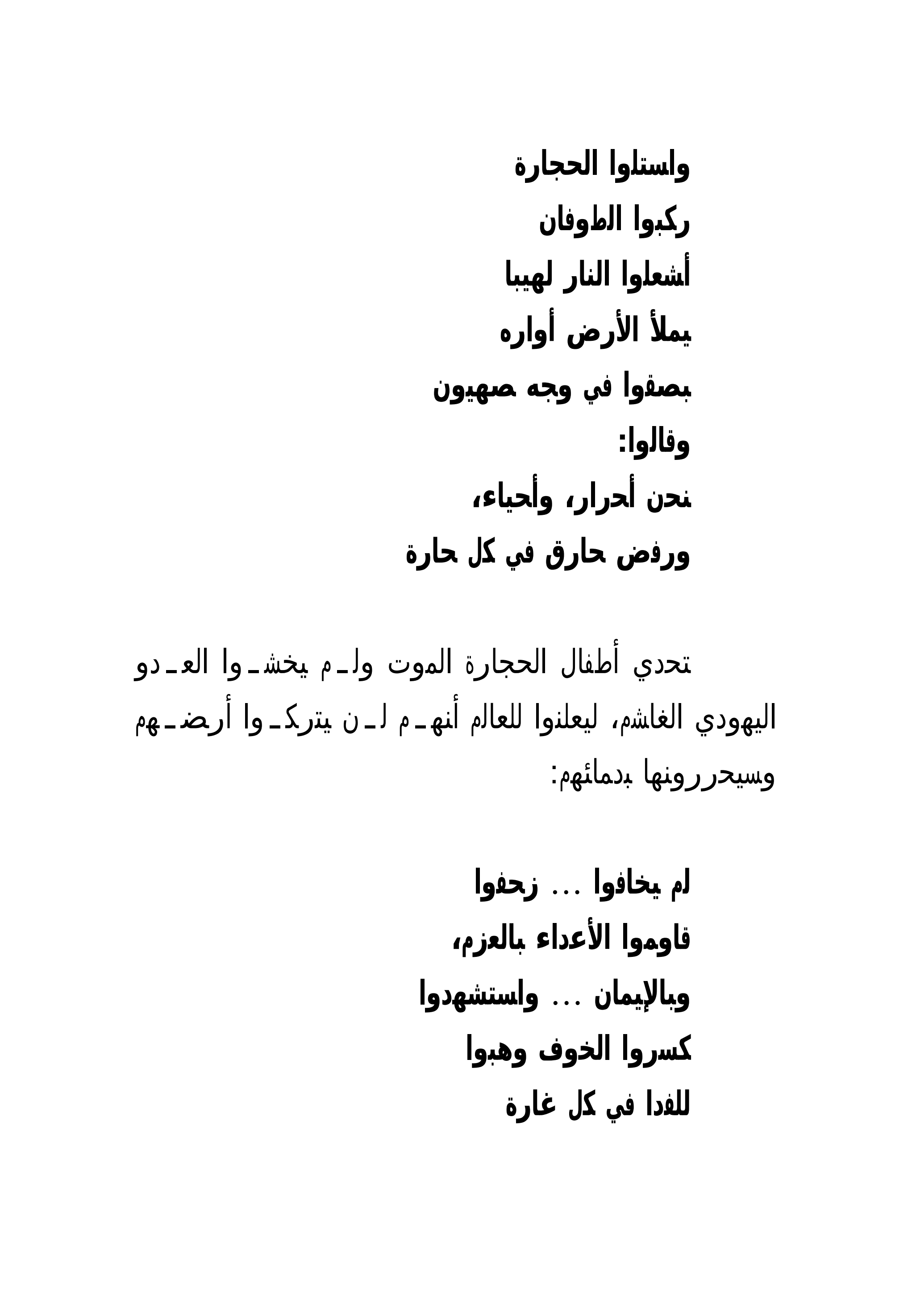
لن يمسك الموت الخؤون قلوبهم



فالبعث والفجر الجديد
رؤيا ترفقهم على درب الفداء
انظر إليهم في انتفاضتهم
صقوراً يربطون
الأرض والوطن المقدس بالسماء

أما الشاعر الإماراتي سلطان خليفة الحبتور فيرى أن الانتفاضة نسفت المفاهيم الثابتة المعروفة عن العرب والتي روج لها العدو اليهودي، والاستعمار الغربي بأن العرب ضعفاء، لا حول لهم ولا قوة ، لا قبل لهم بالحرب، فجاءت الانتفاضة مفاجأة هزت العالم فعرف أن الصوت العربي لن يضيع، وأن إرادته لن تضعف، وأنه ما زوال يجري في عروقه نبض التضحية والشهادة، جاءت الانتفاضة كلمة حق تؤيده من ا سبحانه وتعالى، وسيكون النصر حليفها إن شاء ا ، فيقول الشاعر في قصيدته " لن نرضى الحلول المستعارة " (٥).

نسفوا المفهوم دائما والمألوف



واستلوا الحجارة

ركبوا الطوفان

أشعلوا النار لهيبا

يملأ الأرض أواره

بصقوا في وجه صهيون

وقالوا:

نحن أحرار، وأحياء،

ورفض حارق في كل حارة

تحدي أطفال الحجارة الموت ولـم يخشـوا العـدو اليهودي الغاشم، ليعلنوا للعالم أنهـم لـن يتركـوا أرضـهم وسيحررونها بدمائهم:

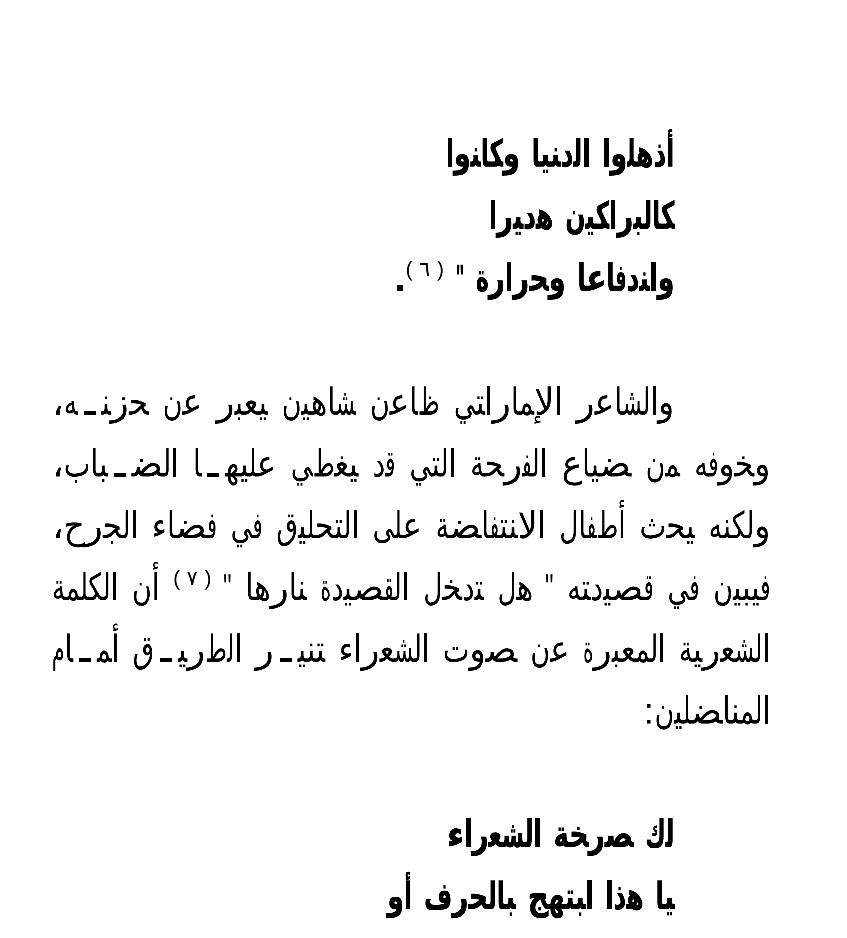
لم يخافوا ... زحفوا

قاوموا الأعداء بالعزم،

وبالإيمان ... واستشهدوا

كسروا الخوف وهبوا

للفدا في كل غارة



أذهلوا الدنيا وكانوا

كالبراكين هديرا

واندفاعا وحرارة "[٦].

والشاعر الإماراتي ظاعن شاهين يعبر عن حزنه، وخوفه من ضياع الفرحة التي قد يغطي عليها الضباب، ولكنه يحث أطفال الانتفاضة على التحليق في فضاء الجرح، فيبين في قصيدته " هل تدخل القصيدة نارها "[٧] أن الكلمة الشعرية المعبرة عن صوت الشعراء تنير الطريق أمام المناضلين:

لك صرخة الشعراء

يا هذا ابتهج بالحرف أو

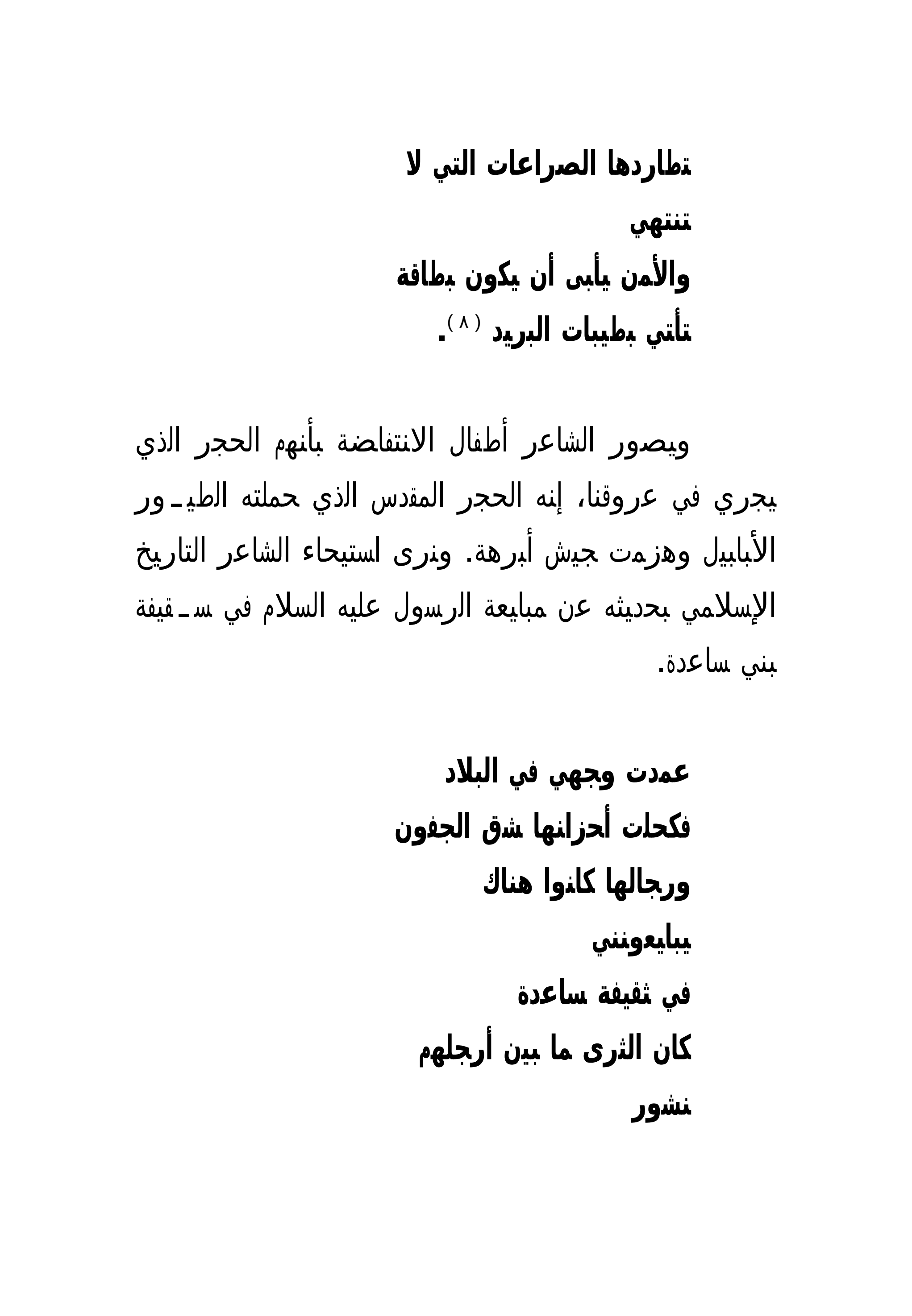
بالصبح

ازرع من جدائل نهرنا

الفضي أشرعة

وحلق في فضاء الجرح

فالأعياد لا يأبى إلى الأرض



تطاردها الصراعات التي لا
تنتهي
والأمن يأبى أن يكون بطاقة
تأتي بطيبات البريد[٨].

ويصور الشاعر أطفال الانتفاضة بأنهم الحجر الذي يجري في عروقنا، إنه الحجر المقدس الذي حملته الطيـور الأبابيل وهزمت جيش أبرهة. ونرى استيحاء الشاعر التاريخ الإسلامي بحديثه عن مبايعة الرسول عليه السلام في سـقيفة بني ساعدة.

عمدت وجهي في البلاد
فكحلت أحزانها شق الجفون
ورجالها كانوا هناك
يبايعونني
في ثقيفة ساعدة
كان الثرى ما بين أرجلهم
نشور

وائتلاف

هل تدخل الآن القصيدة

نارها

أم أنها ترتد من قصر الأمير

لترتمي تحت الأقدام [٩]**.**

والشاعر عبد الستار سليم في قصيدته " إلى وجه فلسطين " [١٠] يدعو أطفال الحجارة إلى الصمود في وجه الريح العاصف، ولا تستسلم لليأس:

يا أيها الوجه المسافر في

قطارات الزمن

يا أيها الوجه المضرج بالوطن

لا تقنطن

حتى ولو لفوك بالريح الغضوب

وجردوك من الكفن

أنت أيها الطفل الفلسطيني أملنا في التحرير، وفـي طلوع الفجر الجديد، فاصمد في الميدان حتى ولـو سـلبوك سطورك المبشرة بالصبح، والحبلى بالأحلام:

يا أيها الوجه الموشي بالعلن

لا تقنطن

حتى ولو سلبوك كل سطورك

الملأى بلون الصبح ... والحبلى

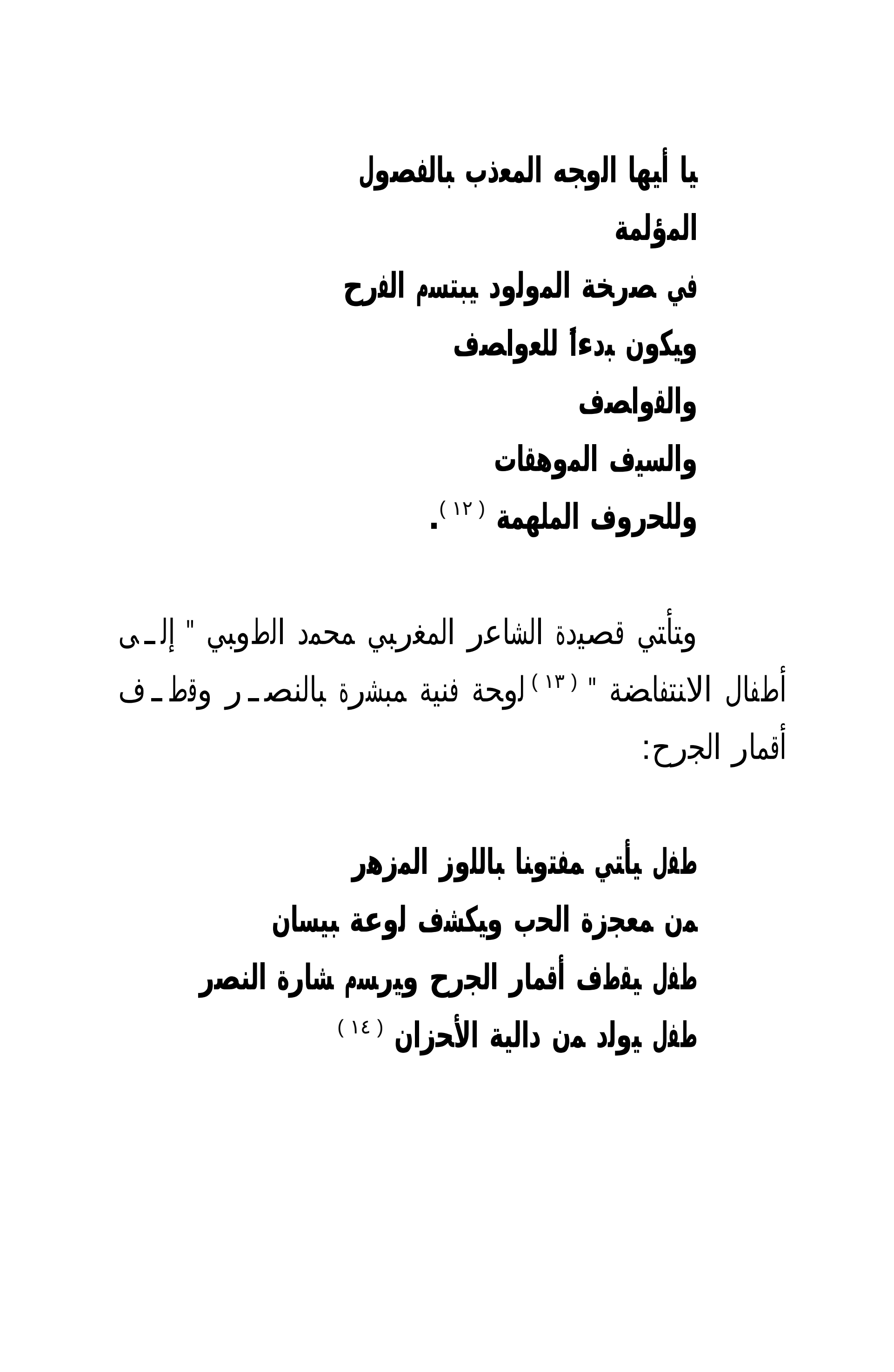
بأحلام الوسن (١١)**.**

إن تحقيق الأماني ليس سهلا، ليس مفروشا بالورود، ولذا أيها الأطفال المناضلون عليكم بالصبر، ومواصلة الجهاد لتحقيق النصر الكبير. وقد شبه الشاعر النصر بعملية الولادة التي يسبقها معاناة وجهد وكبد ثم تنتهي بالنتيجة الإيجابية:

حتى ولو أضناك جهد الحمل

آلام الولادة

طلق ساعات المخاض المبهمة



يا أيها الوجه المعذب بالفصول

المؤلمة

في صرخة المولود يبتسم الفرح

ويكون بدءاً للعواصف

والقواصف

والسيف الموهقات

وللحروف الملهمة [١٢]**.**

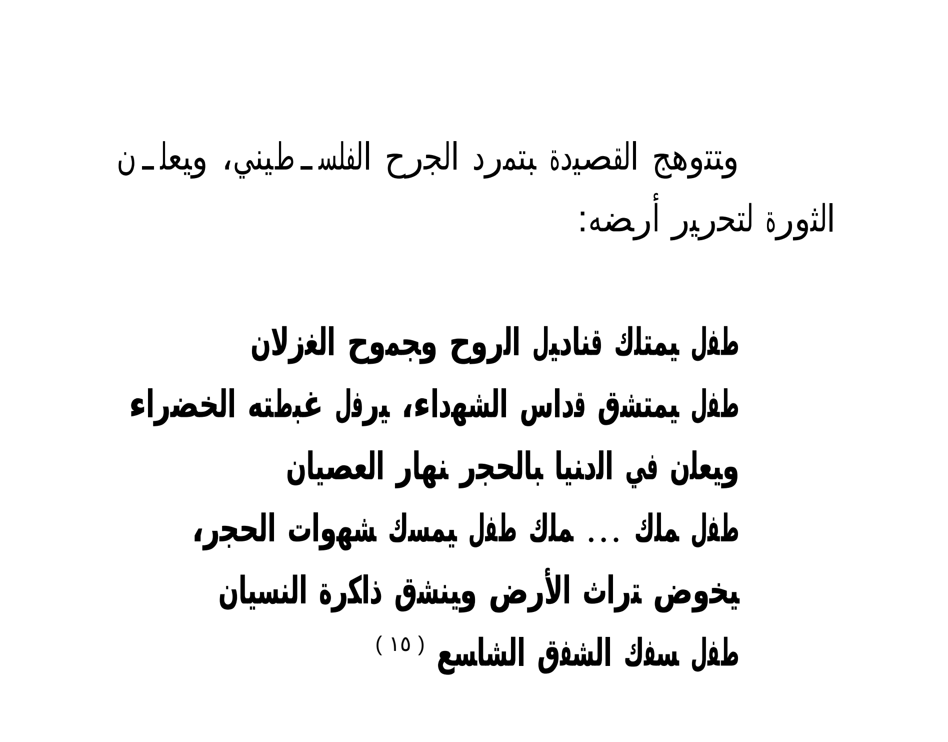
وتأتي قصيدة الشاعر المغربي محمد الطوبي " إلى أطفال الانتفاضة " [١٣] لوحة فنية مبشرة بالنصر وقطف أقمار الجرح:

طفل يأتي مفتونا باللوز المزهر

من معجزة الحب ويكشف لوعة بيسان

طفل يقطف أقمار الجرح ويرسم شارة النصر

طفل يولد من دالية الأحزان [١٤]

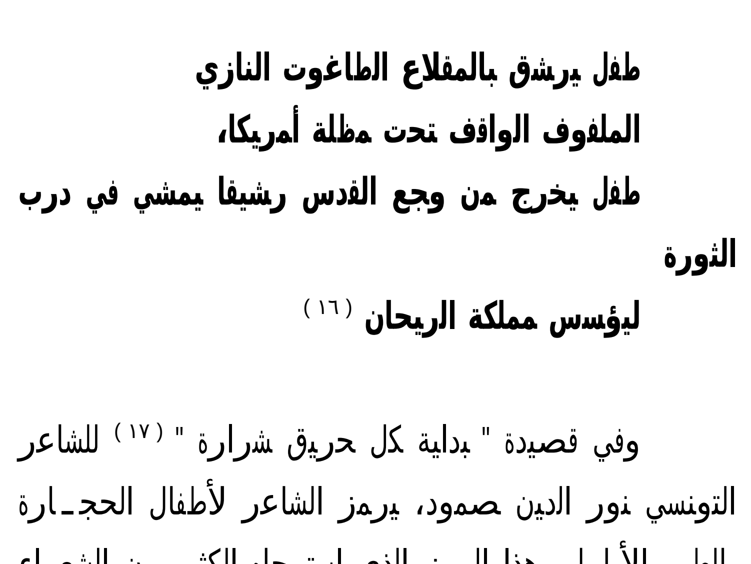


وتتوهج القصيدة بتمرد الجرح الفلسطيني، ويعلن الثورة لتحرير أرضه:

طفل يمتلك قناديل الروح وجموح الغزلان
طفل يمتشق قداس الشهداء، يرفل غبطته الخضراء
ويعلن في الدنيا بالحجر نهار العصيان
طفل ملاك ... ملاك طفل يمسك شهوات الحجر،
يخوض تراث الأرض وينشق ذاكرة النسيان
طفل سفك الشفق الشاسع (١٥)

ويبين الشاعر أهمية ما قام به أطفال الحجارة، وأثره في تحريك الشعور الوطني العربي، وإنهم بذلك ضربوا أروع المثل في مواجهة الموت، متحدين العدو ومن ورائه أمريكا:

طفل يولد يستشهد يولد من أرق الحرمان
طفل زف فلسطين على توقيت فلسطين
أمام جنود وبنادق تحرس ليل القهر



طفل يرشق بالمقلاع الطاغوت النازي

الملفوف الواقف تحت مظلة أمريكا،

طفل يخرج من وجع القدس رشيقا يمشي في درب الثورة

ليؤسس مملكة الريحان [١٦]

وفي قصيدة " بداية كل حريق شرارة " [١٧] للشاعر التونسي نور الدين صمود، يرمز الشاعر لأطفال الحجـارة بالطير الأبابيل، هذا الرمز الذي استوحاه الكثير من الشعراء في قصائدهم عن الانتفاضة، فأطفال الحجارة مثل العصافير تحلق في الفضاء حاملة حجارة من سـجيل لتـرجم العـدو، فتنزل عليه اشد من رصاصه ودباباته:

طيور أبابيل تلقي رجوم الحجارة

على كل فيل دخيل مهاجم

فتنزل مثل الصواعق

تحول كل رؤوس البغاة جماجم

وتضحك من قهقهات البنادق

وتشعل في أنفس الغاصبين الحرائق
وتملأ قلب الدخيل مرارة
وتنزل في كل قلب شريف نزول البشارة (١٨)

ثم يبين الشاعر أن أكبر الحرائق تحدث من أصغر الشرر، وهذه الشرارة الصغيرة هي انتفاضة أطفال الحجارة تضيء الطريق وتطهره من دنس الأعداء، لقد علمونا أن معنى الحياة بالتضحية والمواجهة:

من كان في كفه الصخر نارا
فسوف يسجل فوق ثراه انتصاره
ويطرد كل دخيل ويملك داره
ويدرك ثأره
ابن الحجارة هي البداية:
فابن الحجارة أطفالنا
لعهد جديد من البذل للروح كانت بداية
وللغاصبين تكون النهاية
تذكرنا بعصور الحجارة

ولكن أطفالنا علموا الناس معنى الحجارة

فهب الجميع هبوب امرئ عربي

ينجد جاره

وترسم للنصر في الجو بشاره (١٩)

والشاعر مهران محمد مهران السيد (٢٠) صـور في قصيدته " لا عليك " (٢١) ثورة أطفال الحجـارة فـي لوحة شعرية ملأى بالصور الفنية التي تحمل الحب والخوف على هذا السائر وحده في الصحراء دون هادٍ يرشده:

مستوحشا في قاع صحراء الغواية

أمضي بلا راية

لا ظل يتعبني ولا درويش يمنحني الهداية

*** ***

كيف السبيل إلى جذور الورد في الرمل/ المرايا

كيف الوصول إلى شميم المسك في شعر الصبايا

يا أيها المسجون في نفسي، وقديس الخطايا

*** ***

فبأي آلاء القصائد أحتويك

وبأي ورد أجتبيك

ألبستني موتي، وقيدت الرؤى

فمضيت أوغل في الهوى، حتى كأني ما انتهيت

لا ... لا ... عليك

سيان إن شاركتني ... غيث الحنان

أو ضاق بي صدر الجنان

فجميع ما تحت المسام

يفيض متجها إليك

وشراع حلوتي المرقّع بالشجى

سيظل يبحر ... في زبرجد مقلتيك

لا عليك ... لا عليك [٢٢]**.**

أما الشاعر محمد راجح الأبرش في قصيدته " جيـل الشهداء " [٢٣] يحرض أطفال الحجارة على الاستمرار فـي المقاومة، ولا تنظروا إلى عددكم القليل، لأنكم رغم قلة العدد والعتاد ستنصرون بإذن ا ، لأن عدتكم الشجاعة، والقلـوب الجسورة، أنتم شـعلة متوهجـة تحـرق العـدو اليهـودي

المغتصب. كما يدعو في قصيدته إلى الاهتمام بالنشء لأنهم عدة المستقبل في بناء الأوطان:

إرم بالحجارة لا تركن لهم — لا تقول إنني فقد العددا
عدة الحر فؤاد باسل — يقحم الهول ويعلو صعدا
فإذا ملكته نار اللظى — يصبح العادي حطاما بددا
جيلنا الناشئ لو يعني به — يصنع التاريخ مجدا وهدى
نشؤنا الصاعد لو نحسن له — لا ترى منه نؤوما أبدا (٢٤)

ويعبر الشاعر عن حبه لـلأرض زهـورا وورودا، يحبها حجارة يقذفها الأطفال في وجه العدو:

اعشق الأرض رياحينا وربا	**أعشق الأرض صخورا جلمدا**
أعشق الأرض حجارا قذفت	**من يد طفل على وجه العدا**
أعشق الأرض انتفاضا ولدت	**كل حر عربي صمدا (٢٥)**

ويبشر الشاعر بالنصر، واسـترداد الحـق السـليب بفضل ا ونضال هؤلاء الأطفال:

هذه أرضي سيوف جردت	**وانتفاضات على طول المدى**
نحن قوم عرفنا دربنا	**وانطلقنا نصنع اليوم الغدا**
فابشري يا أمتي في مولد	**وإن هذا الجيل جيل الشهدا** (٢٦)

أما الشاعر الأردني عبد ا الشحام في قصيدته " ما قاله الشهداء قبل الرحيل " [٢٧]، ومن خلال ذلك يبين رؤية كل شهيد لمسـتقبل الـوطن الفلسـطيني، وإنهـم سـعداء باستشهادهم:

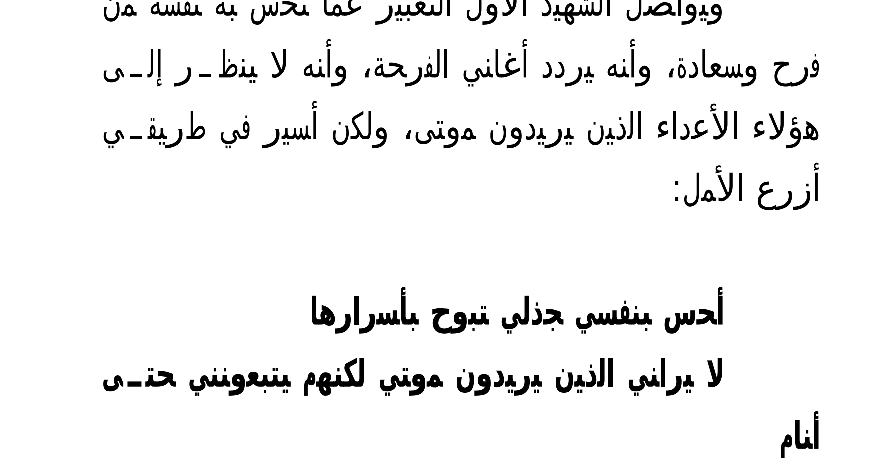
ما قاله الشهيد الأول:

أنشيد الأغاني

أعانق بعضا من الذكريات

أطل على ربوة في البعيد البعيد

أرى نبضات الحياة عصافير مأخوذة بالحياة



ويواصل الشهيد الأول التعبير عما تحس به نفسه من فرح وسعادة، وأنه يردد أغاني الفرحة، وأنه لا ينظـر إلـى هؤلاء الأعداء الذين يريدون موتى، ولكن أسير في طريقـي أزرع الأمل:

أحس بنفسي جذلي تبوح بأسرارها

لا يراني الذين يريدون موتي لكنهم يتبعونني حتـى أنام

أشيح بوجهي عنهم

وأزرع تفاحة في الفؤاد المسبح بالطلقاتِ

وأمشي إلى أمل

يسقطون

وأمشي إلى ساحل الذكريات

على راحتي صخور الجبال وأصوات عاصـفة فـي الهبوب

وفي شفتي الأغاني وهمس الصباح [٢٨]**.**

أما الشهيد الثاني، فيستعيد ذكرياته مع حبيبته، وكيف كان يوزع ورود الأمل على الأصحاب، ويجعل من راحتـه عنباً ونخيلاً لمستقبل جميل يبشر بالخير:

وكان يلوح على شارع القلـب مشـتعلا بالرضـى والجمال
وكنت أغار من الشجن الذي لا يبوح
وكان يغار علي من الريح حتى تبوح الرياح له
بالذي يجمع العاشقين على زفرات الحياة
وكان هنا خيمة وصلاة
وكنت أوزع كل وروده حقولاً حقولاً
وأجعل من راحتي عنبا ونخيلا
وأجعل من حبيبتي قمرا
وفضاء جميلا (٢٩).

أما الشهيد الثالث فيقول إنه يمد الأغاني لحناً جديدا، وأنه يطل على الفجر الآتي المشرق بالنصر، ويكتسح أمامه الظلام:

أمد الأغاني لحنا

أطل عليها

تغيب شموس وتشرق أخرى

وأقرأ سفْر انتمائي

أطل على آية الفجر تمحو الظل العنيد (٣٠)**.**

ونرى الشاعر الحيفاوي عدنان ضميري في قصيدته " العصفور يبحث عن مكان السارية " (٣١) يصور مشـهد استشهاد الطفل مأمون عندما كان يرفع العلم علـى عمـود الكهرباء (ستشهد في الشرقية ـ مدخل عزبـة الحـراد ـ طول كرم ١٩٨٩/٤/٣٠) ليظل علم وطنه مرفرفاً عاليـاً. والقصيدة يصوغها الشاعر في أسلوب قصصي شعري:

طار مأمون الصغير كقبرة

ساب الرعاة صغارها

فتعلقت تبني على عمود الكهرباء

بعد أن ضاقت عليها المقبرة

رفّت على أصابعه الصغيرة ألوان العلم

رفت كجنح القبرة

وتخضبت بدم الجرح الطويل (٣٢)**.**

ويواصل الشاعر سرد قصة مأمون مستوحيا قصـة هدهد سليمان:

وتثاقل الحسون ينقل أطراف الخبر

ذهلت " صمود " وقالت أني ما الخبر

يا أيها العصفور كيف التوحد بين كنه بلّها

في الهواء الطلق وألوان العلم (٣٣)**.**

ويعبر الشاعر عما يحسه الشهيد مأمون، فقد عـرف أن الحياة الحقيقية أن يموت الإنسان شهيدا فـي ظـل علـم وطنه:

لهفي عليك أخي جبْن الطغاه

حين قلت: أموت في ظل العلم

وأعيش في ظل العلم

هي طلقة حمقاء لم تفن العلم

إني على ثقة بأغنية الطفولة والخلود

رسمت على شفة الصبية النارية

لغة التحدي والتمرد رغم أنات الرحيل

تلك الرصاصة حبلى في جباه الصامدين

بسارية العلم ... وعرس العلم [٣٤]**.**

الشهيد حيّ عند ربه يرزق، حيّ في قلوب الشـعب، فصوتك يا مأمون يسري في وجه التيار أقوى مـن صـراخ الألم:

يخضر قرص الشمس

في إغماضه العينين في حلمك

ويبدل الدوري ريشه

وتصير تشبهك السماء [٣٥]**.**

أما الشاعر الجزائري الزهراوي نوفل في قصيدته " الانتفاضة " (٣٦) فيرى أطفال الحجارة عصافير تطير إلى المسجد الأقصى، وإنهم سيحققون النصر، وفي الوقت نفسـه يحذرهم من الغدر والخيانة، يحذرهم ممن السماسرة الـذين يتاجرون بدمائهم الطاهرة:

يا صغيري
أسعد ا   مساءك
وحماك ا   من أظفار أيدينا الأمنية
واشتهاءات نوايانا الدفينة
أيهذا اللابس الصخر على الجلد
فما أبهى رداءك

*** * ***

أسعد ا   مساءك
أيها الساكن في أشباحنا تبغي فضاءك
أيها الدارج في أرواحنا
مثل الحكاية
أيها الطالع فينا كالغواية

نتهجى لغة غير التي نعرف إنا

يا صغيري

نتهجى كلمة واحدة منذ البداية [٣٧]**.**

* * *

والشاعر محمد إبراهيم أبو سنة يبين في قصـيدته " وحدنا والمغول " [٣٨].

إن أطفال الانتفاضة يواجهون العدو اليهودي وحدهم، بصدورهم، سلاحهم الحجارة دفاعا عن هـذه الأرض التـي سوف تبقى لأحلامنا، وأطفالنا، وسيخرج العدو واليهود الذين يقاسمنا وطننا، وهواءنا، ولكن في النهاية ستكون الأرض لنا وحدنا:

وحدنا والمغول

نتفجر في ذروة المستحيل

نتقابل جسما لقنبلة

فوق هذي البلاد التي

سوف تبقى لأطفالنا

سوف تبقى لأحلامنا

وطنا لا يزول

...

وحدنا والمغول

نتقاسم هذا الهواء الذي

كان ملكا لنا من زمان طويل

يكسرون عظام السواعد

هذي السواعد تنمو

غصونا من نار

ندق رماد الفصول

أرضنا لحمنا

لحمنا يتغلغل تحت جذور النخيل

يرتوي من مياه الأعاصير

عبر القرون التي غرستنا

يرتوي من دماء الحقول (٣٩).

ويبشر محمد إبراهيم أبو سنة بالزمان الآتي، ستكون الأرض لنا، والهواء لنا، وننعم بأرضنا الجميلة بعد طرد العدو اليهودي المغتصب:

وحدنا والمغول

نتقاسم هذا الزمان الضئيل

الزمان الذي سوف يبقى لنا

وحدنا

كي يجيء الزمان البديل

كي يجيء الزمان الجميل

سوف نبقى

نتكسر فوق المسافات

نتبع آلامنا

ونجمع أشلاءنا

ونفتح ورداتنا في النسيم العليل

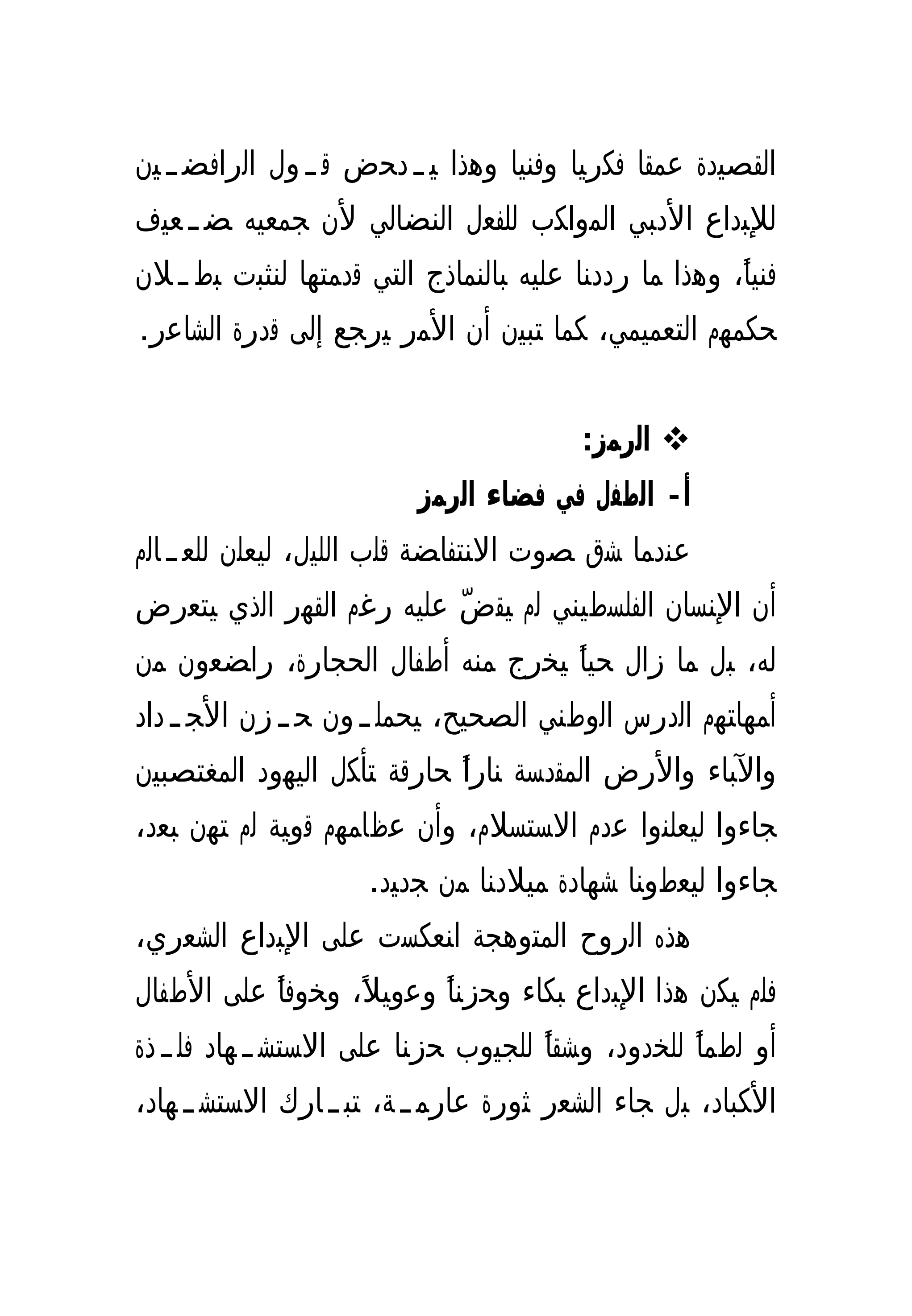
سوف نبقى هنا

وحدنا ويمر المغول (٤٠)**.**

....

(٣) الجوانب الفنية:

من النماذج السابقة التي تناولتها بالتحليل، وهي قليل من كثير يتبين لنا أن معظم الشعراء حاولوا الابتعـاد عـن المباشرة والتقريرية، فلجأوا إلى الصور الشعرية، التي تكسب



القصيدة عمقا فكريا وفنيا وهذا يدحض قول الرافضين للإبداع الأدبي المواكب للفعل النضالي لأن جميعه ضعيف فنياً، وهذا ما رددنا عليه بالنماذج التي قدمتها لنثبت بطلان حكمهم التعميمي، كما تبين أن الأمر يرجع إلى قدرة الشاعر.

❖ الرمز:

أ- الطفل في فضاء الرمز

عندما شق صوت الانتفاضة قلب الليل، ليعلن للعالم أن الإنسان الفلسطيني لم يقضّ عليه رغم القهر الذي يتعرض له، بل ما زال حياً يخرج منه أطفال الحجارة، راضعون من أمهاتهم الدرس الوطني الصحيح، يحملون حزن الأجداد والآباء والأرض المقدسة ناراً حارقة تأكل اليهود المغتصبين جاءوا ليعلنوا عدم الاستسلام، وأن عظامهم قوية لم تهن بعد، جاءوا ليعطونا شهادة ميلادنا من جديد.

هذه الروح المتوهجة انعكست على الإبداع الشعري، فلم يكن هذا الإبداع بكاء وحزناً وعويلاً، وخوفاً على الأطفال أو لطماً للخدود، وشقاً للجيوب حزنا على الاستشهاد فلذة الأكباد، بل جاء الشعر ثورة عارمة، تبارك الاستشهاد،

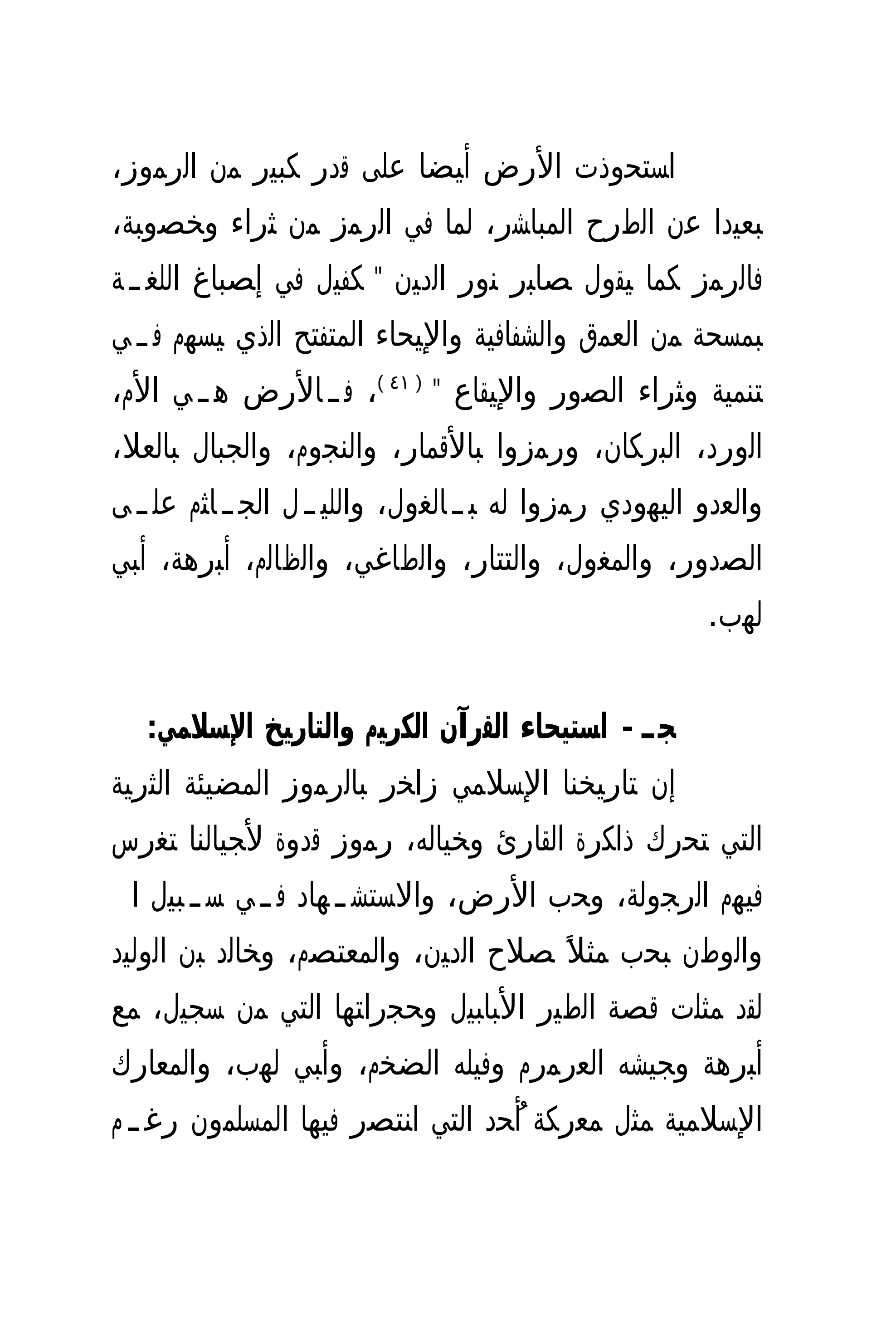
ويصور أن كل شهيد في كل بيت فرحٌ وسعادة، جاء الشعر تحريضاً، ومؤيداً، ومشجعاً الأطفال على الاستمرار في نضالهم بسلاحهم الحجري البسيط المقدس، وإنكم به لمنتصرون بتأييد من الله عز وجل.

انفجرت الانتفاضة بركاناً زلزل الأرض وقلوب الأعداء الواجفة، وفجرت في قلوبنا الثورة، وفاضت ينابيع الشعراء بالشعر المشتعل انفعالاً، المبشر بالنصر، والوقوف بثبات في وجه العدو اليهودي المغتصب.

فرمزوا لهم: بالطير الأبابيل وحجارتهم من سجيل، وبالصقور والنسور القوية المحلقة في فضاء الوطن لحمايته، وبالعصافير التي تحمل الأمل الجديد، وبالورود التي يفوح منها رائحة النصر، ومثل الحديد الذي خرج من النار صلباً، واشد عوداً، وبراكين تنفجر بالغضب تحرق الأعداء وتكتسحهم.

كما رمزوا للنصر بالفجر الجديد، والأقمار، والنجوم، والأمل الجديد.

ب- الأرض في فضاء الرمز:


استحوذت الأرض أيضا على قدر كبير من الرموز، بعيدا عن الطرح المباشر، لما في الرمز من ثراء وخصوبة، فالرمز كما يقول صابر نور الدين " كفيل في إصباغ اللغـة بمسحة من العمق والشفافية والإيحاء المتفتح الذي يسهم فـي تنمية وثراء الصور والإيقاع " (٤١)، فـالأرض هـي الأم، الورد، البركان، ورمزوا بالأقمار، والنجوم، والجبال بالعلا، والعدو اليهودي رمزوا له بـالغول، والليـل الجـاثم علـى الصدور، والمغول، والتتار، والطاغي، والظالم، أبرهة، أبي لهب.

جـ - استيحاء القرآن الكريم والتاريخ الإسلامي:

إن تاريخنا الإسلامي زاخر بالرموز المضيئة الثرية التي تحرك ذاكرة القارئ وخياله، رموز قدوة لأجيالنا تغرس فيهم الرجولة، وحب الأرض، والاستشـهاد فـي سـبيل ا والوطن بحب مثلاً صلاح الدين، والمعتصم، وخالد بن الوليد لقد مثلت قصة الطير الأبابيل وحجراتها التي من سجيل، مع أبرهة وجيشه العرمرم وفيله الضخم، وأبي لهب، والمعارك الإسلامية مثل معركة أُحد التي انتصر فيها المسلمون رغـم

قلة عددهم، رموزاً رئيسية استخدمها الشعراء كثيراً سـواء كانت استخداماً مباشراً أم استيحاء، لما فيها من ثراء فنـي، وهذا ما دعونا إليه كثيرا في كتاباتنا حتى يستغني الشـعراء عن الرموز الغريبة عن تاريخنا الإسلامي ووجداننا.

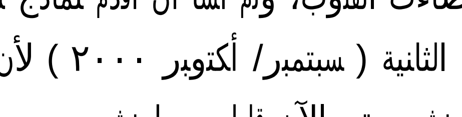
❖ اللغة:

جاءت اللغة، شـاعرية، سلسـلة، عفويـة، تنـبض بالحيوية، كما لجأ الشعراء إلى استخدام الاشـتقاق اللغويـة لإثراء اللغة، وللتعبير عن الحالة النفسية، ودرجة الانفعـال مثل وزن فاعل: السافكون، القائلون، الغائبون، الغاضـبون. وفعيل: سجيل. فعّال: غلاّب، كرّار.

......

إن الكلمة الطيبة لا غنى عنها في حياتنا لأنها تـؤتي أكلها كل حين، أي تظل مورقة في شـجرة حياتنـا، تحمـل الأمل، وتدفع الإنسان إلى العمل الإيجـابي البنـاء، وإلـى التضحية في سبيل ا والوطن، ولا تجعله يقول كما قال بنو إسرائيل لموسى " فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون " (المائدة ـ ٢٤).

الكلمة الطيبة تملأ القلب بالإيمان القوي، الذي يبني الإنسان المسلم الصحيح، لذا ندعو الأدباء والكتاب إلى مراعاة ضمائرهم ويعرفون أن الكلمة أمانة، فعليهم أن يراعوا ا سبحانه وتعالى في أداء رسالتهم. أود أن أشير إلى أن النماذج الشعرية التي قدمتها هي من الإنتاج الشعري عن الانتفاضة الأولى ١٩٨٧، البشارة الأولى، والشرارة الأولى التي أضاءت القلوب، ولم أشأ أن أقدم نماذج شعرية عن الانتفاضة الثانية (سبتمبر/ أكتوبر ٢٠٠٠) لأن الإنتاج الشعري الذي نشر حتى الآن قليل، وما نشر يدور في المضامين التي تناولها الشعر في الانتفاضة الأولى، ولذا فهو ما زال تحت المتابعة والدرس.





هوامش الجزء الأول

١- مجلة المنتدى ـ الإمارات العربية ـ دبـي ـ العدد ٢٠٨ ـ(نوفمبر ٢٠٠٠)
٢- مجلة المنتدى ـ الإمارات ـ دبي ـ العدد ٥٦
٣- مجلة الحرس الوطني ـ السعودية ـ(أغسطس ١٩٨٨)
٤- مجلة المنتدى ـ الإمارات ـ دبي ـ العدد ٧٥ ـ (أكتوبر ١٩٧٩)
٥- مجلة المنتدى ـ الإمارات العربية ـ دبـي ـ العدد ٥٥ ـ (فبراير ١٩٨٨)
٦- المصدر نفسه
٧- صحيفة الخليج - ١٩٩٠/٤/١٤
٨- المصدر نفسه
٩- صحيفة الخليج ـ ١٩٩٠/٤/١٤

١٠- مجلة المنتدى ـ الإمارات ـ دبـي ـ العـدد (٥٦)

١١- المصدر نفسه

١٢- المصدر نفسه

١٣- مجلة الحرس الوطني ـ السـعودية ـ ينـاير ١٩٩٠

١٤- المصدر نفسه

١٥- المصدر نفسه

١٦- المصدر نفسه

١٧- مجلة الحرس الوطني ـ السـعودية ـ ينـاير ١٩٨٩

١٨- المصدر نفسه

١٩- المصدر نفسه

٢٠- انتقل إلى رحمة ا في (سبتمبر ٢٠٠٠)

٢١- مجلة المنتدى ـ الإمارات العربية ـ دبـي ـ العدد ٧٢ ـ (يوليو ١٩٨٩)

٢٢- المصدر نفسه

٢٣- مجلة المنتدى ـ الإمارات العربية ـ دبـي ـ العدد ٥٦ ـ (مارس ١٩٨٨)
٢٤- المصدر نفسه
٢٥- المصدر نفسه
٢٦- المصدر نفسه
٢٧- مجلة المنتدى ـ الإمارات العربية ـ دبـي ـ العدد ٥٨ ـ (مايو ١٩٨٨م)
٢٨- المصدر نفسه
٢٩- المصدر نفسه
٣٠- المصدر نفسه
٣١- صحيفة الاتحاد الحيفاوية
٣٢- المصدر نفسه
٣٣- المصدر نفسه
٣٤- المصدر نفسه
٣٥- المصدر نفسه
٣٦- مجلة المنتدى ـ الإمارات العربية ـ دبـي ـ العدد ٨٤ ـ (يوليو١٩٩٠)
٣٧- المصدر نفسه

٣٨- مجلة الحرس الوطني ـ السعودية ـ(يونيـو ١٩٨٨)
٣٩- المصدر نفسه
٤٠- المصدر نفسه
٤١- مجلة المنتدى ـ الإمارات العربية ـ دبـي ـ العدد ٢٠٨ ـ (نوفمبر ٢٠٠٠)



الجزء الثاني

القصة في الحرب والانتفاضة

القصة القصيرة في الحرب

(١) تمهيد:

بدءاً أتساءل عن الحرب ما هي؟

وسنجيب عن هذا التساؤل بما قاله الشاعر زهير بن أبي سلمى:

وما الحرب إلى ما علمتم وذقتم	**وما هو عنها بالحديث المرجم**
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة	**وتضر إذ ضريتموها فتضرم**
فتعرككم عرك الرحى بثفالها	**وتلقح كشافا ثم تنتج فتتئم**
فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم	**كأحمر عاد، ثم ترضع فتفطم**

منذ قال زهير بن أبي سلمى حكمته الشاملة هذه الـ م تتوقف الحرب ... بل زادت واتسعت وتطورت فكراً وتقنية حتى أصبحت الآن أشد خطراً مما ذكر زهير بن أبي سلمى

باختراع الأسلحة الذرية التي لا تبقي شـيئاً علـى الأرض، وهيروشيما مثال حي لا ننساه أبداً.

خطر الحرب أصبح شديداً على الأطراف المتحاربة، لن ينجو من دمارها أحد، وسيعاني جميع الأطراف مما تخلفه من خراب نفسي ومادي.

وتظل الحرب حربا ... لها خصوصيتها تصـطرع في أتونها ثنائيات متضادة: الحب/ الكره، الحيـاة/ المـوت، الإنسانية/ اللا إنسانية، الشـجاعة/ الجـبن، وتتبـاين هـذه الثنائيات في المواجهة الفردية أو الجماعية فـي مواقـف لا مكان فيها للاختيار، حيث لا اختيار إلا لوجه واحد إما أنـت أو الآخر، ولا تحل المواجهة إلا بموت أحـدهما أو بمـوت الإثنين، فإما " أكون أو لا أكون " كما قال شكسبير.

والحرب بهذه الصورة العدوانية التوسعية مرفوضة، إلا إذا كانت حربا دفاعية عن الحق المسلوب، عـن الأرض المغتصبة، عن الشرف، عن الكرامة، فهي حـرب شـرعية يقرها الدين والقانون، سواء كانت هذه الحرب حرباً كبيرة أم مقاومة شعبية لإقلاق وإرهاق المستعمر.

الحر محورها الإنسان، هو الذي يكتـوي بنارهـا. ورغم هذا يشعلها هو لإشباع غريزة العـدوان فـي نفسـه، العدوان على الضعيف ليبقى هو الأقوى كقانون الطبيعة.

أمر الإنسان غريب ...

في الوقت الذي يحمل فيه السكين لقتل أخيه، يحمـل القلم عله يكفر بقلمه عما يرتكبه بسكينه.

وتبقى الكلمة، لأنها كانت في البدء وستزال، الكلمة/ الإبداع، الكلمة/ الذاكرة، ومن هنا تأسس أهميتهـا كـذاكرة للأجيال تحمل في رحمها الماضي والمستقبل.

من هنا أيضا تتحدد أهمية الكلمة الخارجة من بطـن الحدث، من عمق الجرح في حينه، إنهـا الكلمـة/ الوثيقـة، وشاهد عيان، عاصر الأحداث في وقتها.

مع الكلمة/ الإبداع/ الشاهد المطل من أرض الواقـع نبحر في عالم القصة القصيرة وهي تقـارب الشـعر فـي تجاوبها السريع للفعل النضالي.

سنتناول نماذج من القصة القصيرة التي كتبت عـن الحرب كمقدمة للحديث عن أدب المقاومـة شـعراً وقصـة موضوعنا الرئيس.

(٢) النماذج القصصية:

في قصة " سادس أيام الخلق " لأحمد الشـيخ التـي كتبها بعد انتصار أكتوبر بشهر واحد (نوفمبر ١٩٧٣)، أي في لحظة وقوع الفعـل، وفـي غمـرة الفـرح والانفعـال بالانتصار، نجد الكاتب يعبر عن مفاجأة النصر التي غيـرت الموازين، وأعادت إلى الإنسان المصري وللعـرب جميعـا ثقتهم في أنفسهم، تماما مثلما حدث عند قيام الانتفاضة الأولى ١٩٨٧، والانتفاضة الثانية. تحدث الكاتب عن التمزق الـذي أكل الإنسان المصري قبل حرب أكتوبر، وبين الجو السياسي قبل هزيمة ١٩٦٧، وأثر ذلك في الإنسان العربي عامة.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى تصوير الموقف على الجبهة:

" في مساء اليوم الأخير من شهر شعبان أيضاً وعلى الشاطئ الغربي للمر المائي ذي التاريخ الحافـل والسـمعة الرنانة، كان أفراد الخدمة المتناثرون على امتـداد الموقـع يحرسونه يتبادلون عند نقاط الالتقاء حديثاً خاطفاً ثم يسـتدير كل منهم إلى الاتجاه المعاكس ليلتقي في الآخر بفرد خدمـة آخر يتبادل معه حوارا خاطفاً ثم يعـود ... أيـديهم علـى

مقابض الأسلحة وعيونهم ترقب ما يدور على الشاطئ الآخر خلف الساتر الترابي الهائل، وعندما يحـين الوقـت لتغييـر الخدمة يزفر الآخرون في شيء من الضيق لاستمرار الوضع على ما هو عليه، يتساءلون متى تتاح لهم الفرصـة للعمـل الفعلي من أجل تبديل ما صار رتيبا ومقيتـا، علـى امتـداد الشهور، كان الحنين ينمو ويتزايد لاقتحام تلك التلال الممتدة إلى ما بعد قدرة النظر على الاكتشـاف، يزدهـر الحنـين ويشكل عبئاً جديداً.

وكثيراً ما كانوا يتحاورون حول السبب الذي يجعلهم عاجزين عن احتمال النظر إلى هـذه الضـفة دون فعـل. يتساءلون عن إمكانية التسلل خفية ودون أوامر إلى الجانـب الآخر وليكن ما يكون، ولما كان الأمر من بعض وجوهه يقل من حيث الأهمية عند البعض منهم أو بشكل آخر كان الأمر فوق قدراتهم على احتمال المزيد من أيام الانتظار فقد دأبـوا على محاولات الحصول على إجازات وتفننوا في الحصـول عليها بأساليب متباينة، لكنهم عندما ما كانوا يعـودون فـي أخرى يحكون بضيق كيف ضاعت الأيام والسـاعات فـي المدن حيث الأضواء أو القرى المعتمة دون إحساس بقيمـة

التواجد وسط الأهل والصحاب، وأنه لم يكـن شـيء غيـر إرجاء الوقت والطواف بلا هدف أو معنى ثم التعرض لبعض المضايقات غير المباشرة ... كانت في عيون البعض حسرة وألم سقيم عاجز على الاحتجاج بشيء على مظاهر التـرف الزائد في جوانب المدن، وشيء كأنه الانكسار الصامت يشع من العيون العاجزة عن الدفاع والهجوم "

فالكاتب في هذه الفقرة يصف مـا يعانيـه الجنـود المصريون من صراع نفسي,في أيام الانتظار المملـه علـي الجبهة, وحزن لما يرونه في المدينه او القرية من ظلام, ألم في القلوب,وانكسار في العيون , وتهب للحظة الهجـوم ... للثأر.

ثم يصور الكاتب علمية العبور " في ظهيـر اليـوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ وصلت إلى من كانوا يقبعون في مواقعهم أوامر، تبادلوا نظرات الإفاقة وتحركوا، فـي خفـة النمور المدربة كانوا يتحركون، في وضح النهـار. كانـت اللحظة المرتقبة قد حلت فانزاحت الهموم القديمـة وتحولـوا إلى كائنات جديدة، لم يكن الأمر مجرد عبـور الجسـر أو الحاجز، كان أكبر، اندفعوا بحماس طائر مفلوت من قبضـة

يد، حلقوا في الفضاء أو تسللوا عبر الأثير وحطـوا علـى رمال الشاطئ الآخر ... عبروا بكل معداتهم ذلـك الممـر المائي ذي التاريخ الحافل والسمعة الرنانة، وأصبح الممر في لحظة العبور لهم، لم يكن تقليل سـرعتهم، كانـت لحظـة الصحوة فانساحوا على طول الشاطئ الآخر وبصورة غيـر محسوبة أو قابلة للتصديق، ذبحوا مخاوف السنوات الفائقـة بالاقتحام الجسور، ساح دم الخزي على رمال الشاطئ الآخر وتفجرت على الشفاه الواثقة أغنيات لم يفكـروا قـبلاً فـي كلماتها، كوحش خرافي كانوا يتوثبون. ينزاح الحاجز الترابي وترفرف على بقاياه أعلام مصر وعلى بعض الأجزاء منهـا دماء من سقطوا ... ورفرفت أعلام الدم وتواثب العـابرون فانزاح الكابوس الغشيم مرعوبا إلى الداخل. تقوقع في مخابئه وتحصن بحصون يسيرة الاقتحام "

رسم الكاتب لوحة حية للجنـود المصـريين وهـم يعبرون جسور الخوف بقلوب شجاعة، لا تخشـى المـوت، أنزلوا الرعب في قلوب اليهود وفروا يبحثون عن هرب من النمور الجسورة التي تفترسهم، ورفعوا علم مصر عاليا، بعد أن طهروا الأرض من نجاسة اليهود.

أما فتحي سلامة في قصته " الأميرة ذات الهمة "[١] فيديرها حول سؤال أولاد لأبيهم عن طائرات العـدو التـي تحلق فوقهم هل يمكن أن تصل إلى بيتهم، سؤال بسيط مـن أولاد صغار يبحثون عن الأمن والأمان، يجيبهم الأب بـأن الطائرات لن تصل إليهم ... تقول ابنته أن الأمان الحقيقـي في ذهاب أخي إلى الجيش حتى لا تأتي الطائرات، يحـدث الأب نفسه (طفلي لا يدري ماذا يفعل؟ وأنا ماذا أفعل، يبدو أن الطفل يعرف أفضل مني):

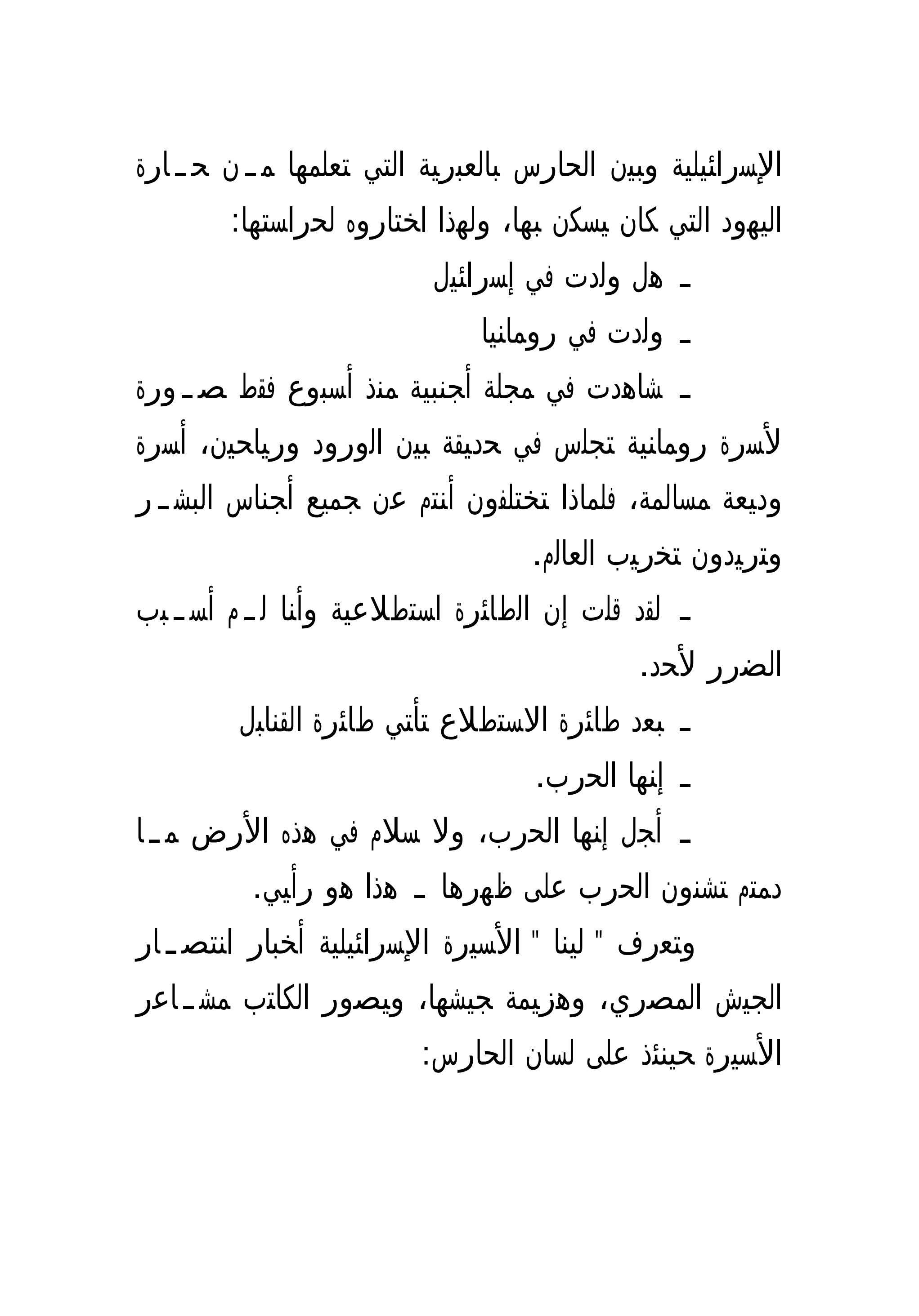
يخرج الأب إلى الشارع ... الشارع مملوء بالناس، مذياع البقال يعلو صوته على صوت الضجة فـي الشـارع، أغنية تهتف بالأحرار، رجل يقرأ الجريدة بصوت عال، يلتف بعض الناس من حوله، تختلط الأصوات وتتشابك، لم يرتكب إثما حتى أضربه، كان يسأل وكنت مخطئاً، والآن أنا أجري في الشارع ملتاعا ملهوفا عليه، أشعر أن الكل سعيد، لا أحد ينظر إلى وجهني في أسى، الطفل بخير حتى الآن، النـاس هنا يعرفون كل شيء، لو أن الأمر خطير مـا قابلـت هـذا الرضا من الناس، أحجم عن السؤال إنهـم يعيشـون هنـاك بقلوبهم بعيدا ... حيث كل الأولاد تعيش الحرب ".

وتحقيقا لرغبة الأولاد الحالمين بالأمان، يذهب الأب إلى الجيش ... يتسلم مهماته، يستأذن لزيارة زوجته وأولاده، ليزرع فيهم جميعا الأمن ... ليعرفوا أنـه ذاهـب ليطـرد طائرات العدو حتى لا تلقي القنابل على أولاده وأهل بلده ... عندئذ شعر الأبناء بالأمان ... وتصيح صغيرته.

ـ أبي ذهب ليطرد الطائرات

بهذه الكلمات البسيطة يختم الكاتب قصته كاشفاً عـن حاجة الأبناء إلى الأمان، وإدراكهم أنه لن يتحقق الأمـان إلا على يد الأب الذي يحقق أمنية أولاده.

أما محمود البدوي ـ رحمـه ا ـ فـي قصـته " الحارس "[٢] فتدور أحداثها في منفلوط في اليوم التاسع من أكتوبر، ويصور فيها مشاعر النـاس المتوهجـة بالفرحـة، وراحوا يؤدون ألأعمالهم في هدوء كأن الحرب لم تشتعل منذ ثلاثة أيام، لاطمئنانهم للنصر، كما يبين غضبهم عندما وقعت فتاة إسرائيل بطائراتها التي احترقت، وتؤسر، وترحل إلـى القاهرة مع حارس، ويبين محمود البدوي ـ رحمه ا ـ أن الحارس قام بواجبه بحمايتها من غضب الجماهير التي تريد أن تفتك بها، ويدير الكاتب حوارا بـين " لينـا " الأسـيرة



الإسرائيلية وبين الحارس بالعبرية التي تعلمها من حارة اليهود التي كان يسكن بها، ولهذا اختاروه لحراستها:

ـ هل ولدت في إسرائيل

ـ ولدت في رومانيا

ـ شاهدت في مجلة أجنبية منذ أسبوع فقط صورة لأسرة رومانية تجلس في حديقة بين الورود ورياحين، أسرة وديعة مسالمة، فلماذا تختلفون أنتم عن جميع أجناس البشر وتريدون تخريب العالم.

ـ لقد قلت إن الطائرة استطلاعية وأنا لم أسبب الضرر لأحد.

ـ بعد طائرة الاستطلاع تأتي طائرة القنابل

ـ إنها الحرب.

ـ أجل إنها الحرب، ولا سلام في هذه الأرض ما دمتم تشنون الحرب على ظهرها ـ هذا هو رأيي.

وتعرف " لينا " الأسيرة الإسرائيلية أخبار انتصار الجيش المصري، وهزيمة جيشها، ويصور الكاتب مشاعر الأسيرة حينئذ على لسان الحارس:

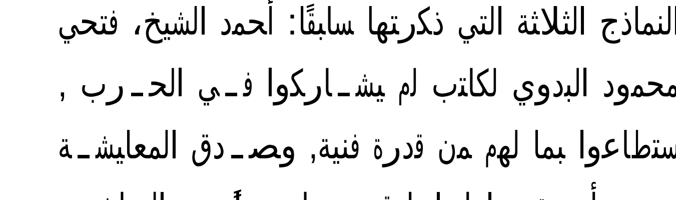
كانت تتوقع انتصار جيشهم ولم تكن تتوقع هزيمـة كهذه أبدا ... وأصيبت بخيبة أمل مرة ... وغدت سـحنتها مخيفة ضاعت منها كل معالم الأنثى ... وخفضـت رأسـها وراحت تنظر إلى أرضية العربة وجعلني هذا أراقبها بحـذر ولا تغفل عيني عنها لحظة " (٣).

ويكشف محمود البدوي عن محاولة " لينا الأسـيرة إغراء الحارس، ولكن محاولتها باءت بالفشل، وشدد الحارس عليها الحراسة، ويصف الكاتب مشاعر الحارس نحو الأسيرة " وعجبت وأنا أضع يدي على لحمها من كوني لم أشعر بأية عاطفة نحوها ... وهي رشيقة الجسم وتعد جميلة في النساء. كانت تقاطيع جسدها بارزة مـن خـلال القمـاش الكتـاني المشدود، وكانت يداي تتحركان على تمثال من الشمع الجامد ... وربما كانت تتصور أنني أتلذذ من هذه الحركـة لأنـي فتشت الجيوب وقلبتها ... ولمست صدرها وفخذيها ... تحت القميص وفوقه ... ربما كانت تتصور أن في الأمـر متعـة لأنها طالت ... ولكن إحساسي كرجل كان يغطيـه دخـان الحرب ويغلفه ... وكنت جامدا وأي ضعف من جانبي معناه

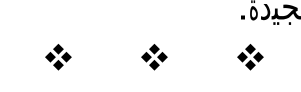
ضياعي كرجل "[٤] وكذلك الضابط المسؤول كان " مسيطرا على أعصابه لإحساسه بالمسؤولية التي كلف بها "

يغلب النعاس الحارسين، تنتهز الأسـيرة الفرصـة، وتنزل من القطار ... يدور البحث عنها وأخيـرا يجـدونها فيوثقونها بالحبال.

ويسترجع الكاتب جرائم اليهود التي ارتكبوها ضـد الأطفال في مدرسة بحر البقر، وما ارتكبوه في أبي زعبـل، وسكان بورسعيد، والإسماعيلية والسويس، كـل ضـحاياهم المدنيين.



النماذج الثلاثة التي ذكرتها سابقًا: أحمد الشيخ، فتحي سلامة، محمود البدوي لكاتب لم يشـاركوا فـي الحـرب , ولكنهم استطاعوا بما لهم من قدرة فنية, وصـدق المعايشـة للحظة الحرب أن يقدموا إبداعا قصصيا بعيداً عن المباشرة، ولكن يتمتع بتقنية جيدة.



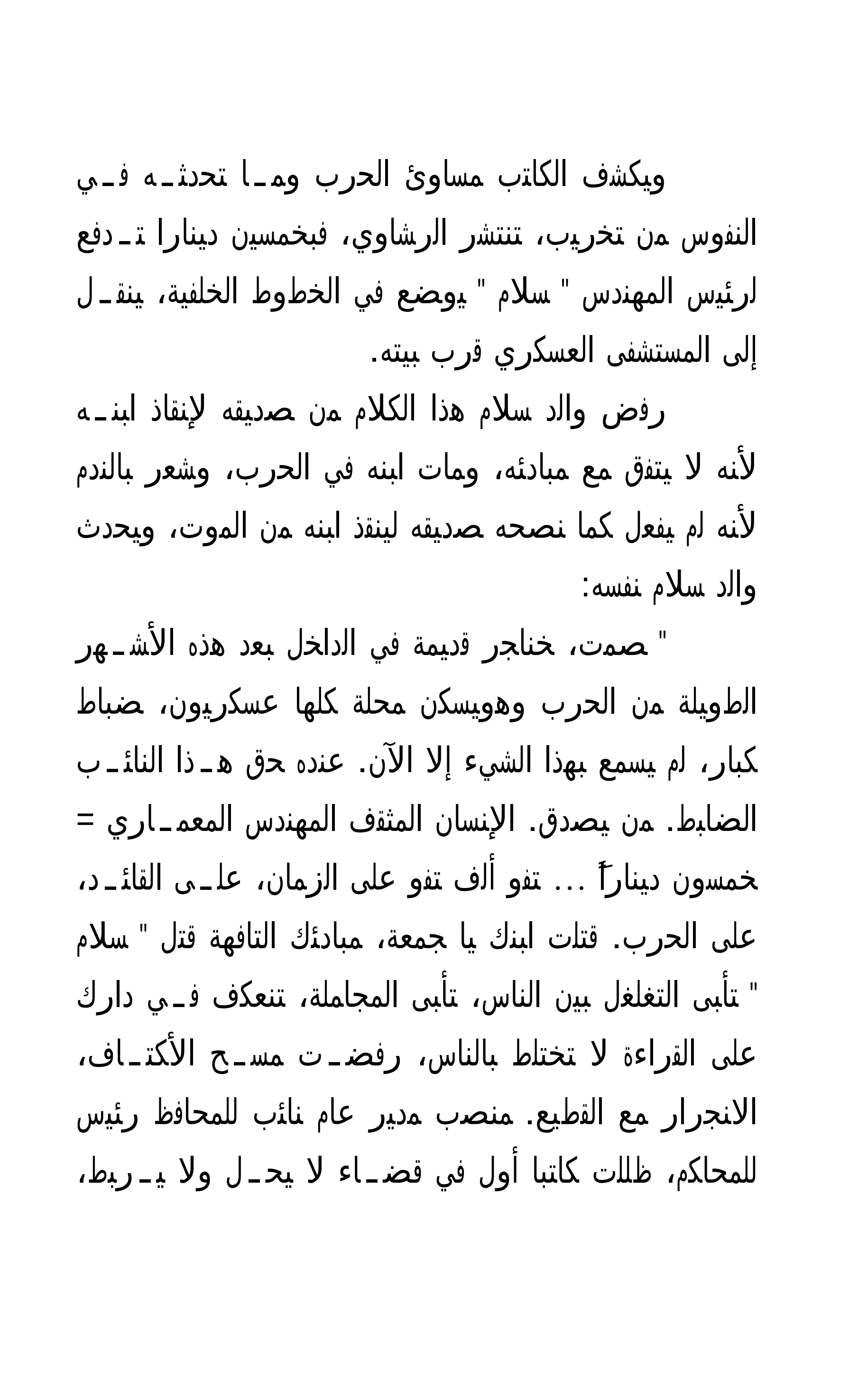
كما بينت اثر الحرب في القصة القصيرة المصرية، أبين أيضا أثر الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت سنوات طويلة، استنزفت الشعبين العراقي والإيرانـي فـي القصـة القصيرة العراقية .

ففي قصة " طيور الحب والحـرب " (٥) للقـاص العراقي محمود سعيد، يبين الكاتب العذاب الذي يعانيـه أب فقد إبنه المهندس في الحرب، لإصراره على مبادئـه التـي منعته من دفع رشوة لأحد الضباط لإنقاذ إبنه من الموت كما فعل صديقه وأنقذ إبنه من الحرب، فيصف الكاتـب احتفـال الشباب بتخرجهم، ثم في صباح اليوم التالي التحق كل مـنهم بوحدته، والحق " سلام " بلواء مشاة بدلا من إلحاقه بوحـدة هندسة الطرق.

يصف الكاتب فرحة " سلام " بنجاحه، فـذهب إلـى السوق مع أصحابه "اشترى زوجا من طيور الحب الصغيرة الملونة مع قفصها المعدني، كان ريش العصـفورين أشـبه بقوس قزح، خيوط حمر قانيـة فـي محـيط مـن الأزرق والأخضر والأصفر، بما تبقى من النقود التي نفحها له أبوه، اقتنى قميصاً أبيض مخططـاً بالأزرق وحذاء أحمـر " (٦) وبعد احتفال الشبان بتخرجهم التحق كل منهم في صباح اليوم التالي بوحدته، لم يسطع الأب والأخت توديع ابنه " سـلام " وودعته الأم بالعناق والبكاء.

تمضي ثلاث سنوات منذ سلم " سلام " نفسه لوحدته دون أن يعلم عنه أحد شيئًا، فيقول الكاتب: " وها قد مضـت قرابة ثلاث سنين على ذلك الضحى، ولا أحد يعلم عنـه أي شيء، بعد بضعة أيام على ذهابه اشتعلت الجبهة إلى الشرق نارا، قبل ذلك كانت المدينة تقصف ثلاث مرات في اليـوم، في مناطق مختلفة عشوائية، كل مرة بحدود ثلاثـين قنبلـة مدفعيه، وكان الناس يسمعون القصف والقصـف المعـادي، يميزون بينهما، يحددون مكان انطلاق وسـقوط القنابـل ... لكنهم بعد اشتعال الجبهة انطلقت القنابل كل لحظـة، وفـي معظم الأمكنة " [٧].

ويستمر الكاتب في تصوير ضحايا القصف الشـديد من أبناء البلد " خمدت المعركة بعد أسبوعين لكن المستشفى العسكري بدأ يستقبل في اليوم الثاني البرادات، في البدء براد واحد فخم بطول أربعين قدما، تعكس أشعة الشـمس علـى صفائح الألمونيوم التي تغلفه وميضا حادا يحرق المقل، ثـم تكاثر العدد، كما تنقسم الأميبا، لم تستطع أمـه إحصـاءها، كانت تبكي فقط " [٨].



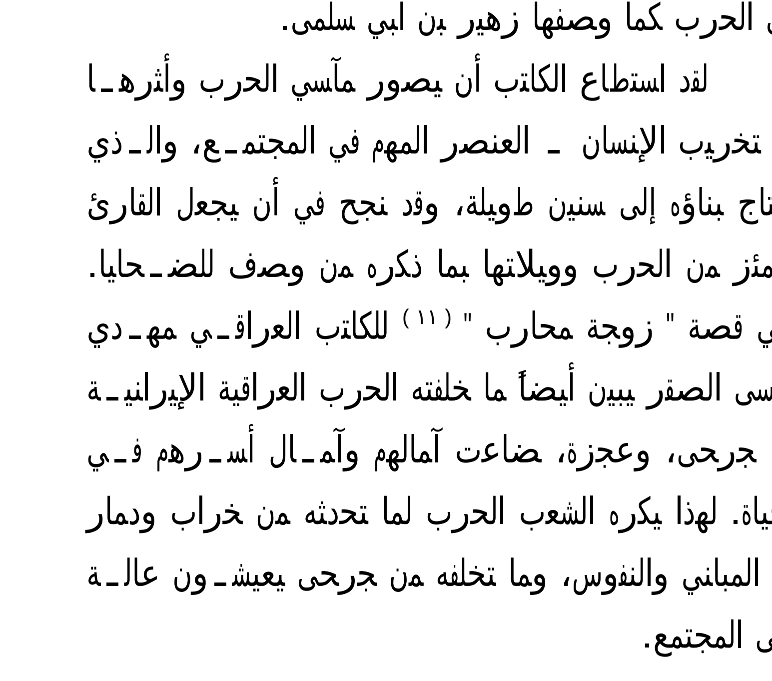
ويكشف الكاتب مساوئ الحرب ومـا تحدثـه فـي النفوس من تخريب، تنتشر الرشاوي، فبخمسين دينارا تـدفع لرئيس المهندس " سلام " يوضع في الخطوط الخلفية، ينقـل إلى المستشفى العسكري قرب بيته.

رفض والد سلام هذا الكلام من صديقه لإنقاذ ابنـه لأنه لا يتفق مع مبادئه، ومات ابنه في الحرب، وشعر بالندم لأنه لم يفعل كما نصحه صديقه لينقذ ابنه من الموت، ويحدث والد سلام نفسه:

" صمت، خناجر قديمة في الداخل بعد هذه الأشـهر الطويلة من الحرب وهويسكن محلة كلها عسكريون، ضباط كبار، لم يسمع بهذا الشيء إلا الآن. عنده حق هـذا النائـب الضابط. من يصدق. الإنسان المثقف المهندس المعمـاري = خمسون ديناراً ... تفو ألف تفو على الزمان، علـى القائـد، على الحرب. قتلت ابنك يا جمعة، مبادئك التافهة قتل " سلام " تأبى التغلغل بين الناس، تأبى المجاملة، تنعكف فـي دارك على القراءة لا تختلط بالناس، رفضـت مسـح الأكتـاف، الانجرار مع القطيع. منصب مدير عام نائب للمحافظ رئيس للمحاكم، ظللت كاتبا أول في قضـاء لا يحـل ولا يـربط،

رفضت أن تساس بالسوط والجزرة. وهذه هي النتيجة، شاب يعدل الدنيا وما فيها راح ثمن مبادئك ... لو تواصلت مع الناس لعرفت سر اللعبة، دفعت رشوة أنقذت ابنك ... تحمل المبادئ. وغيرك يدفع الثمن يا لك من جبان اتفو ... ألف تفو عليك يا جمعة "[٩].

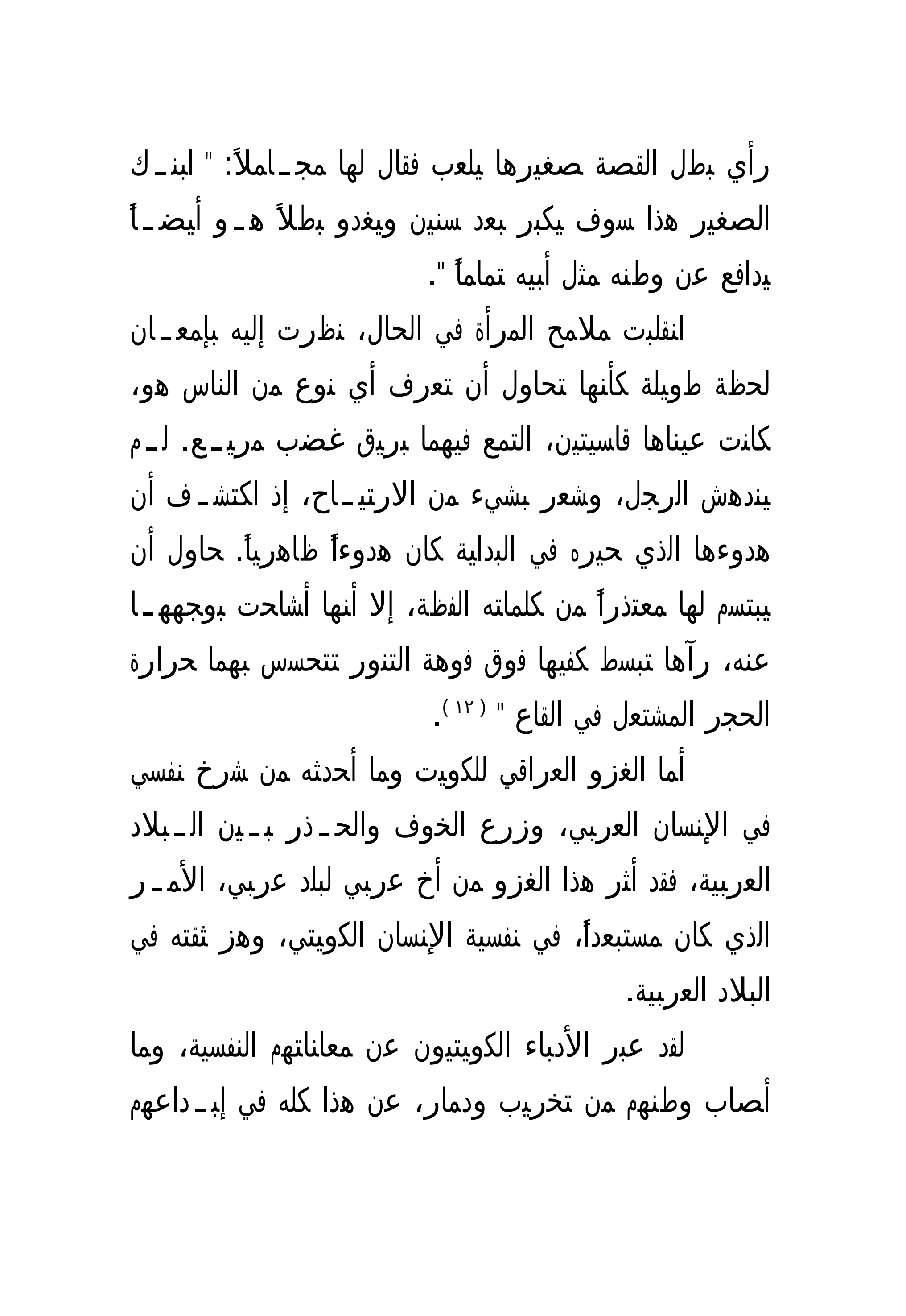
هكذا يبين الكاتب ما تحدثه الحرب في النفوس من تخيري، وضعف، فالأب " جمعة يأكله الندم لأنه عاش في قوقعة المبادئ، ولم يعش مع الناس يفهم كيف تسير الدنيا ... لو فهم ذلك ... ما مات ابنه، وما تحدثه أيضا من تخريب اقتصادي، هذا علاوة على الضحايا الذين يروحون ضحية الحرب " الجثث الممزقة في أرض حرام، أطراف مقطوعة، بطون مجوفة محروقة بالقذائف، معجونة بالدم والتراب، رؤوس مشوهة، سبعة أطراف ورأسان في حفرة واحدة، يد من لرأس من منفصلة عن جذع من؟ موجة الدماء التي حصدت أرواح البراعم الذين لم يستمتعوا بأي شيء في حياتهم، ما أن بلغو الرشد حتى أصبحوا طعاماً للكلاب والنسور والغربان "[١٠].



الكاتب في هذه القصة يعري الحرب بوجه عام سواء كانت حرباً بين العراق وإيران، أم أي حرب أخرى، فالحرب هي الحرب كما وصفها زهير بن أبي سلمى.

لقد استطاع الكاتب أن يصور مآسي الحرب وأثرها في تخريب الإنسان - العنصر المهم في المجتمع، والذي يحتاج بناؤه إلى سنين طويلة، وقد نجح في أن يجعل القارئ يشمئز من الحرب وويلاتها بما ذكره من وصف للضحايا. وفي قصة " زوجة محارب " [١١] للكاتب العراقي مهدي عيسى الصقر يبين أيضاً ما خلفته الحرب العراقية الإيرانية من جرحى، وعجزة، ضاعت آمالهم وآمال أسرهم في الحياة. لهذا يكره الشعب الحرب لما تحدثه من خراب ودمار في المباني والنفوس، وما تخلفه من جرحى يعيشون عالة على المجتمع.

تدور القصة حول زوجة عامل تعمل حارسة للمباني الجديدة، تعيش مع زوجها وابنها في عشة صغيرة، يكتشف بطل القصة مرض زوجها فيسألها عن مرضه، فتجيبه بأنه كان يحارب، وأصيب في ساقه، واستفحل الجرح، وقرر الأطباء قطعها، وهي تبيع الخبز بجانب حراستها للمبنى،


رأى بطل القصة صغيرها يلعب فقال لها مجاملاً: " ابنك الصغير هذا سوف يكبر بعد سنين ويغدو بطلاً هو أيضاً يدافع عن وطنه مثل أبيه تماماً ".

انقلبت ملامح المرأة في الحال، نظرت إليه بإمعان لحظة طويلة كأنها تحاول أن تعرف أي نوع من الناس هو، كانت عيناها قاسيتين، التمع فيهما بريق غضب مريع. لم يندهش الرجل، وشعر بشيء من الارتياح، إذ اكتشف أن هدوءها الذي حيره في البداية كان هدوءاً ظاهرياً. حاول أن يبتسم لها معتذراً من كلماته الفظة، إلا أنها أشاحت بوجهها عنه، رآها تبسط كفيها فوق فوهة التنور تتحسس بهما حرارة الحجر المشتعل في القاع " (١٢).

أما الغزو العراقي للكويت وما أحدثه من شرخ نفسي في الإنسان العربي، وزرع الخوف والحذر بين البلاد العربية، فقد أثر هذا الغزو من أخ عربي لبلد عربي، الأمر الذي كان مستبعداً، في نفسية الإنسان الكويتي، وهز ثقته في البلاد العربية.

لقد عبر الأدباء الكويتيون عن معاناتهم النفسية، وما أصاب وطنهم من تخريب ودمار، عن هذا كله في إبداعهم

الأدبي، بصورة فيها المرارة من غدر الأخر، عبـروا عـن الجرح الذي لن يندمل. ولم يقف الأمر عند الأدباء الكويتيين بل شاركهم الأدباء في البلاد العربية، فنددوا بالغزو، وعبروا عن حزنهم وتمردهم على الشعارات التـي كانـت تحملهـا العراق لجمع الصف العربي.

كان الغزو تجربة مريرة هزت كيان الإنسان العربي، كما هزت الإنسان الكويتي، وقد عبرت الكاتبة ليلى العثمـان عن هذه المأساة التي عايشتها في مجموعتهـا القصصـية " الحواجز السوداء " وليلى العثمان تتصف كتاباتها بالصـدق، وتجسيد المشاعر في صور فنية شاعرية، إن صدق الكاتبـة في وصف دقائق النفس البشرية وإخلاصها لفنها - كما يقول عبد اللطيف أرناؤوط في كتابه " ليلى العثمان " رحلـة فـي أعمالها الكاملة " - جعل آثارها الفنية أعمالاً نموذجية قابلـة للتحليل؛ ذلك أن الكاتبة المبدعة لا تخط على الورق إلا مـا تشعر به أو يتملّى في نفسها بصدق، فمادة أدبها وثائق مفيدة للدراسات الأدبية والنفسية، وقد اتضح ذلك في قصص هـذه المجموعة التي استطاعت الكاتبة بالصورة الفنية أن تجسـد المأساة، وتبرز صمود الإنسان الكويتي.

الكويت وطناً، بيتاً، إنساناً، ذكريات تتحرك عملاقة تتمثل في الإنسان، في الكلمة، هذا ما عبرت عنه ليلى العثمان في قصص هذه المجموعة، صاغت ألفاظها من مشاعرها، من الحزن الذي لم تستسلم له المدينة، " لم تستسلم المدينة لحزنها، ولم تفقد عزمها القديم، في خلال أيام كانت أرحام الأمهات الباسلات تتواصل، وسواعد الشباب النظرة تتواصل، وأكف الصغار المشحونة بالغضب تتواصل، وسواعد الشباب النضرة تتواصل، وأكف الصغار المشحونة بالغضب تتواصل، وقلوب العذارى النابضة بربيعها تتواصل، وعزائم الرجال الشائبة رؤوسهم تتواصل، وأقدام العجائز المحناة بطين الأرض تنفض عجزها، وتتواصل، أمواج البحر بعزوق النخلات الحبلى تتواصل، الرمل والعشب رؤوس دبابيس تتحول وتتواصل، حمامات البيوت الزاجلة تفرد أشرعتها وتتواصل، كل شيء تواصل حتى غدت المدينة الواسعة ومناطقها القريبة والبعيدة قلباً واحداً يقسم: أن لا مكان للجراد " (ص ٣٧). وينكشف الرمز المقصود بالجراد حين تقارن الكاتبة بين الجراد الحقيقي الذي كانوا يصطادونه، وبين الجراد الرمز للغازي العراقي، وينغرس

الإنسان الكويتي في رمال وطنه وإرادة شامخة تـأبى عنـد الكثير أن يتركوا الكويت، وينطلق السؤال حـائراً فـي ص ٧٦:

" لماذا نهاجر وإلى أين؟

" ويصرخ الطفل في وجه أمه

" لا اريدأن اسافر : أريد الكويت

" وتظل الكويت في قلب الطفل يرى قمرها في كـل مكان يرحل إليه:

" آه يا قمر الكويت

" يذكرك:

" هذا قمر عمان

" لا هذا قمر الكويت. يبحث عني يجيء أجمل وأبهى

" وتغتسل المشاعر في البحر، فـي ذكرياتـه فـأبو صالح يعشق البحر، يتجشأ زفره، في الأماسي يرتحل إليـه سائراً قاطعاً شارع الأسفلت الحديث. لا تتآلف خطوته مـع الأرض حتى تلامس " (ص ٧٨).

هو البحر يقرأ أبو صالح أمواجـه سـطراً سـطراً، تكشف له عن السر المخبوء في الغيب، يعلن علـى المـلأ

نبوءته: " سيشتعل البحر، والناس تحمل أمتعتها، ويضـحك منه الناس، ويظل يحكي، وهم يضحكون، لا يصدقون، ويظل يحكي، حتى تتحقق النبوءة، ويشتعل البحر فعـلاً، ويحمـل الناس أمتعتهم فارين من النار، وكم نبههم ولكنهم لم يصدقوه:

ـ لا تشكّو بكلامي. وا أشـوف البحـر يشـتعل، والناس شايلها شلايلها (أمتعتها) وتطير " (ص ٨٨).

وظل الناس لا يصدقون أبا صـالح حتـى وقعـت الواقعة، ورجت الأرض رجاً، واشتعل البحر فعـلاً، وفـر الناس، إلى الآباء والأجداد، الذين رفضوا مغادرة الكويت ... لمن يتركون البحر، لمن يتركون الأرض، وتحملوا العـذاب والتنكيل رجالاً ونساء.

البحر الصدر الحنون، الذي يلجأ إليه الإنسـان فـي فرحه وحزنه، فهو حياته وذكرياته، ضياعه ضياع لعمـره، وبقاؤه بقاء لحياته " عاد البحر ... أخيـراً عـاد ... قلبـك يعلنها، تريد أن تصرخ بها، أن تشهد السماء علـى الأمـل المولود، ترفع راسك، تلمح طيور النورس فاردة أجنحتها في الأفق ترقص وكأنها تحضن الفضاء ولأول مرة تعلو، تهبط، تعانق الموج، تباركه، تسمع ضحكتها وتغاريدها ونـداءاتها

تحسبها تهنؤك بعودة البحر معافى رغم الخراب المنتشر على امتداد السواحل وقلب المدينة وأذرعتها وعمقها كلـه. كفـك تهرش الرمل، تسطر الكلمة، تحفرها، وعاد البحـر، وعـاد البحر " (ص ٣٣).

وهجم الجراد وأكل كل شـيء، وكانـت الصـدمة، والدهشة، واللعنة، والحزن، والمقاومة، وينتفض اسم الكويت عملاقًا يزلزل الأعماق فلا يعـرف الإنسـان الكـويتي إلا الشهادة، لتشهد رمال الكويت أنه لم يستسلم، وكان التحـدي رغم القتل والتنكيل، فامرأة تحبس نفسها سبعة شهور تحديدا حتى يتحقق النصر: " حلفت يمينًا سبعة شهور حبست نفسي في البيت، لا أخرج إلا إلى البحر أغتسل وأصلي، ولو أموت الآن لا يهمني تستدير عنك، تبتعد مخلفـة رائحـة ملحهـا وارتياحها ودعائها وصوتها بحرارة " (ص ٣٦).

نهب واغتصاب لكل شيء يقع في طريقهم، للزوجة أمام زوجها وأولادها، فهذه أم تنصح ابنهـا أن يختفـي، ولا ويظهر أبداً مهما فعلوا بها حتى لا يقتلـوه، ويـرى الابـن اغتصاب أمه " المشهد أمامي، أنظر من خلال فتحة التكييف الملوثة بالغبار القديم، وأنا ابنها العاشق لا أتحرك، لا أجـرؤ

أن أقاتل وأدفع عنها أذى الأنيـاب، لسـت ضـعيفًا، لكنـه صمودي المقهور الذي يحقق لها الراحة، هي لا تريـدني أن أموت، وأنا لا أريدها أن تموت حزنًا علي، تمسكت بتحذيرها " (وجه الذئب ص ١٥).

وتزلزل الشاب كلمة والده " عسى الولد مـا شـاف شيء؟ أعرفه شهما ويحبك، أن كان رأى لما تـوانى عـن الدفاع عنك " (ص ٦٥).

ويحطم الابن سور التحذير " لا تكبلي أقـدامي، لـن أتردد، ليكن الحزن اليماً، لا بأس أن يأتيك جسـدي ملفوفـاً بقماش ملون، أحمر بلون دمي، أخضر بلون نخلتنا، أبـيض بلون قلبك، أسود بلون حقدنا المولود " (ص ٧٥) ويخـرج الابن " الليل أسود يهوم حزيناً. السماء مبللة بـالغبش. هـي رطوبة آب اللعين، خطوتي الأولى مترددة، والثانيـة تمتـد، الثالثة تشب، الرابعة تقفز، الخامسة تنطلق، السادسة تطيـر تبحث بإصرار عن وجه ذئب اغتصب أمي " (ص ٧٥).

وتقارن الكاتبة بين الجراد الحقيقـي الـذي كـانوا ينتظرون موسمه لاصطياده وبين الجراد/الرمز/ العدو الذي تفزع منه المدينة " مدينتنا اليوم تفزع، ترفض قدوم الجراد،

وتخشاه وتبتلع صرخات الذهول والعذاب ودموع الجـروح المفتوحة تستغيث طالبة الرحمة، والنجـدة للعـروس التـي اخضرت صحراؤها واتسعت شواطئها، وتزايد خيرها ولـم يعد للجراد موقعه في القلوب أو الأحشاء " (ص٣٧).

شوه الغزو العراقي كل شيء جميل فـي الكويـت، مواسم الفرح، البحر، الذكريات، ولكن لم تستسـلم المدينـة للحزن، بل جمع أهلها شتات نفوسهم، وواجهـوا العـدوان، رجالاً ونساء، ويعلن أبو صالح العجوز المقاومـة النفسـية المتحدية للعدو برفض ترك الأرض، والتمسـك بهـا لأنهـا عمره، تاريخه، كان أبو صالح رمزاً للشباب في المقاومـة " كانوا يستمدون منه قوة تثبت أقدامهم، وإيمانهم، وفعلهم. لـم خطئ يوماً ويعلن أن الأرض تزول إلى الأبد. دائماً، حتـى وهو يمضغ لقمته، يردد الكويت لأهلها بـين وقـت وآخـر يفتقدونه في البيت، يدركون دون سؤال أن الحنين يتلاعـب بقلبه فيغادر إلى بيته القديم، يتشمم عطـره، يتفقـد تاريخـه ويقلب أغراضه هناك يبكي أكثر حرية، يصلي، وينام أيامـاً ثم يعود " (ص ١٠١).

ويستمر الغضب التنفيسي " انفجرت قاذفـة دمامـل الوجع الثابتة كالشوك بداخلي. لم أعبأ بحرسهم حول سفارتنا يرتعون خطواتي الراكضة بفرح الفراشات. صرخت " تعيش الكويت حرة يا كويت. وحين وصلت باب السفارة سـجدت، بكيت، توضأت، برائحة بلادي. ورفعت العلم، هتفت، غنيت، ولم أهتم للعيون التي تلاحق فرحي " (ما يزال الحداد قائمـا ص ١١٣).

لقد ترك العدو كل شيء في الكويت خراباً " تركـوا كل شيء. الخراب،

,الموت, حسرات القلوب، والحرائق والصحراء المزروعـة بالألغام تنتظر عثرة طفل، قدم عجوز وشوق وامرأة لبيـت شعر. الأسلحة الثقيلة والخفيفة تلبد في كل مكان. رغم نشوة النصر تخاطفته الأيدي، خبأتـه فـي البـرك، والمخـازن، وسراديب البيوت، ربما بانتظار عدو آخر مجهول!! فالليـل مازال يفرش عباءته السوداء رغم أغنيات الفرح والتحرير، وهطول العاشقين من المنـافي يقبلـون الأرض والأطفـال الصامدين، ما يزال حداد الأمهات والزوجات، والـنفط مـا يزال يدفق حريقه الأسود إلى الصدور بانتظـار أن يزفـره ذهباً إلى أحضان الأصدقاء " (ما يزال الحـداد قائمـا ص ١١٦).

ولم ينهزم الإنسان أمام المدافع والحواجز المغروسة في كل مكان. وقد آثرت الكاتبة أن تعطي صورة تسـجيلية مباشرة، من خلال الحوارات لتبين كبرياء الإنسان الكويتي، وعدم استسلامه، ومقاومته، العنيده التي لا تخضع للعدو رغم العتاد الرهيب، صورت الكاتبة ذلك فـي قصـة " حـواجز مختلفة الوجوه " في كل حاجز تكشف عن مواجهة مباشـرة

مع العدو، وتعني بها مواجهة الإنسان الكويتي مع العدو ,ومع نفسه هل سيضعف أم سيصمد، ليحمي كبرياءه، وأرضه ... ليثبت للعدو أنه لن يهزم الإنسان، هذا هو الإنسان الكـويتي، رجالاً ونساء، الكل يقف في مواجهة مباشرة مـع الغـازي، ليثبتوا أن الإنسان الكويتي لن ينهـزم، وإنـه يمتلـك إرادة التحدي مهما كانت هذه التحديات، فهذه امرأة كويتية تتشـبث بهويتها الكويتية أمام الجندي العراقي في نقطة التفتيش الذي يحاول إذلالها وفرض الجنسية العراقية فينفجر داخلها متحدياً " أحسست قلبي يبكي ذلك الزمن الذي مضى، قبل انتشارهم كالفئران في مدينتي، لم يكن يهمني ماذا أكـون، عراقيـة، أردنية، لبنانية، أي شيء كنت عربية تختلط كل دماء العرب بعروبتي، لكنني أنفر أن أكون إلا كويتية. هـذا الإحسـاس يمزقني، ليته الكلب يفهم، ويتركني أفخر ولو للحظة أمامـه متحدية غضبه وصلاحه، أنني كويتية، أننـي أسـيانة لحـد الموت أن أتنصل من عروبتي التي تشوهت، لكنه بصـلابة يصك على أسنانه، ويلقي بالبطاقة، يدوس عليهـا، يسـحقها على الأسفلت. النذل سحق وجهـي تحـت أقدامـه " (ص ٣٥).

(٣) الجوانب الفنية:

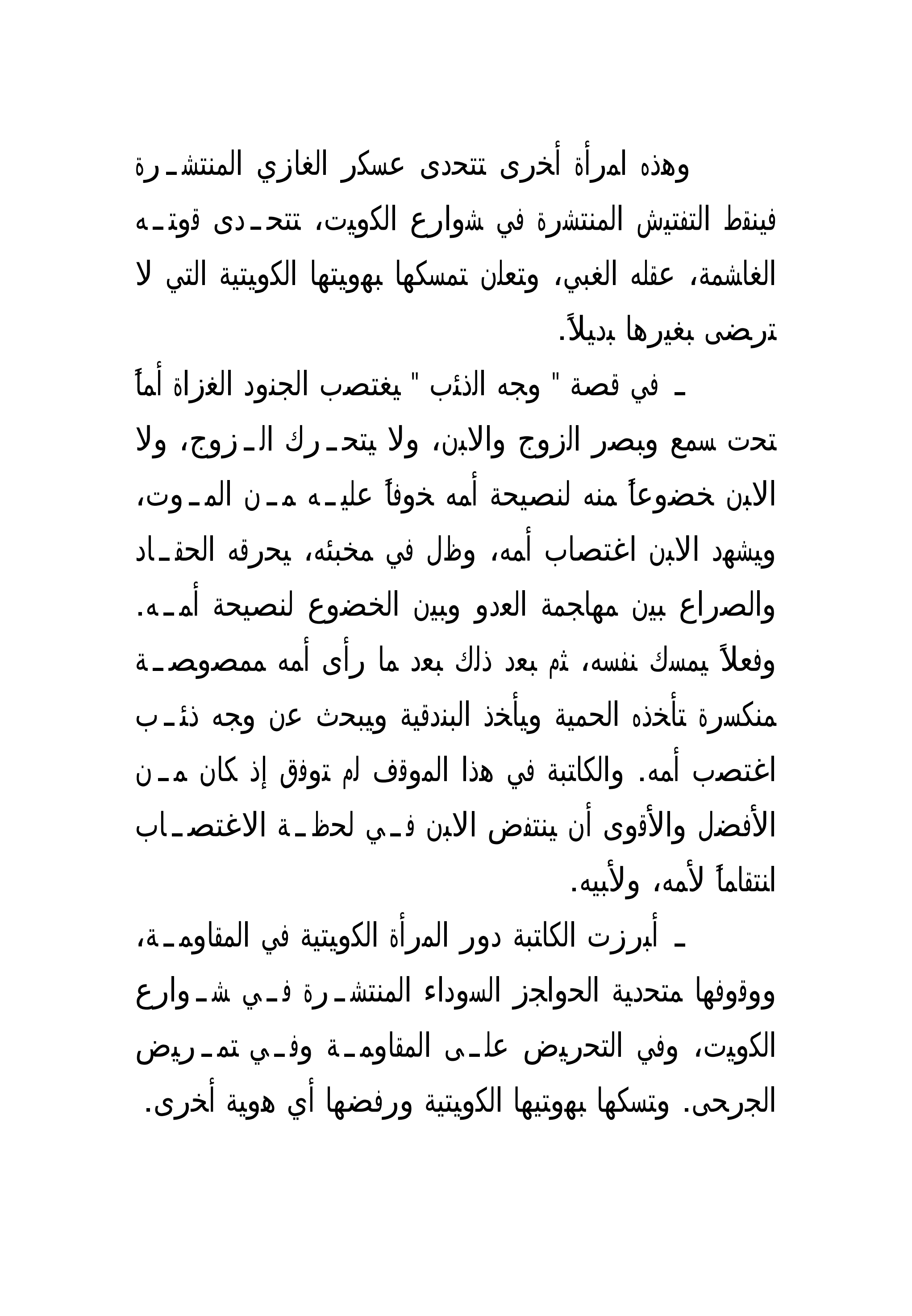
الحزن يصيب الإنسان بشفافية تتجلى فـي رؤيتـه المستقبلية وحساسية شديدة تبدو في اختياره أداته التعبيريـة. وليلى العثمان في هذه القصص حزينة ولكنه حزن مشـحون بالغضب والرفض، والتحدي، ولكنها لم تفقد شفافية الرؤيـة المستقبلية المؤمنة بالنصر كما فـي قصـة " البطاقـة "، " الطريق أمامي رغم الحواجز والآلام تتسع، أنظره بـالمرآه الصغيرة واقفاً مكانه ... يصغر ... يصغر ... حتى يتلاشى " (ص ٣٠).

ـ الأسلوب شاعري ترسم به الكاتبة لوحات فنيـة، فلنقرأ هذه اللوحة من قصة " وعاد البحر" التي تعبر فيها عن فرحة النصر والعودة " أخيراً عاد قلبـك يعلناهـا تريـد أن تصرخ بها، أن تشهد السماء على الأمل المولد، ترفع رأسك، تلمح طيور النورس فاردة أجنحتها في الأفق المعتم، ترقص وكأنها تحضن الفضاء لأول مرة، تعلو، تهبط، تعان الموج، تباركه، تسمع ضحكاتها وتغاريدها ونداءاتها، تحسبها تهنؤك بعودة البحر معافى رغم الخـراب المنتشـر علـى امتـداد السواحل وقلب المدينة وأذرعها وعمقها كله. كفـك تهـرش

الرمل، تسطر الكلمة، تحفرها " وعاد البحر " بضعة أعشاب طازجة مستريحة بقربك. تلملمها، تزين بها الكلمة المحفورة، تبدو أجمل ... أجمل ... تود لو تحملها برفق وتغرسها داخل قلبك حتى لا يطالها لموج ويحسمها، تسيج الكلمة بالأصداف الحصى، تحس دفأها يحنو عليها، يمزق جدران الحزن ويفتح بوابات الأعراس قادمة " (وعاد البحر ص ٣٣).

- تضمين القصص بالمأثورات الشعبية التي تتلاحم مع نسيج القصة مما يعطي القصص عبقاً تاريخياً يحرك الوجدان ويفجر ذكريات الماضي فيزداد الإنسان الكويتي تمسكاً بتراب وطنه.

- دقة اختيار الكاتبة للمواقف التي صاغت منها القصص، المواقف فيها حدة تبرز التحدي للغازي فهذه امرأة تحبس نفسها سبعة شهور وأقسمت إلا تخرج إلا بعد تحرير وطنها " حلفت يميناً, سبعة شهور حبست نفسي في البيت، لا أخرج إلا إلى البحر، أغتسل واصلي، لو أموت الآن لا يهمني، تستدير عنك، تبتعد مخلفة رائحة ملحها وارتباطها ودعائها، وصوتها بحرارة " (ص ٣٦).

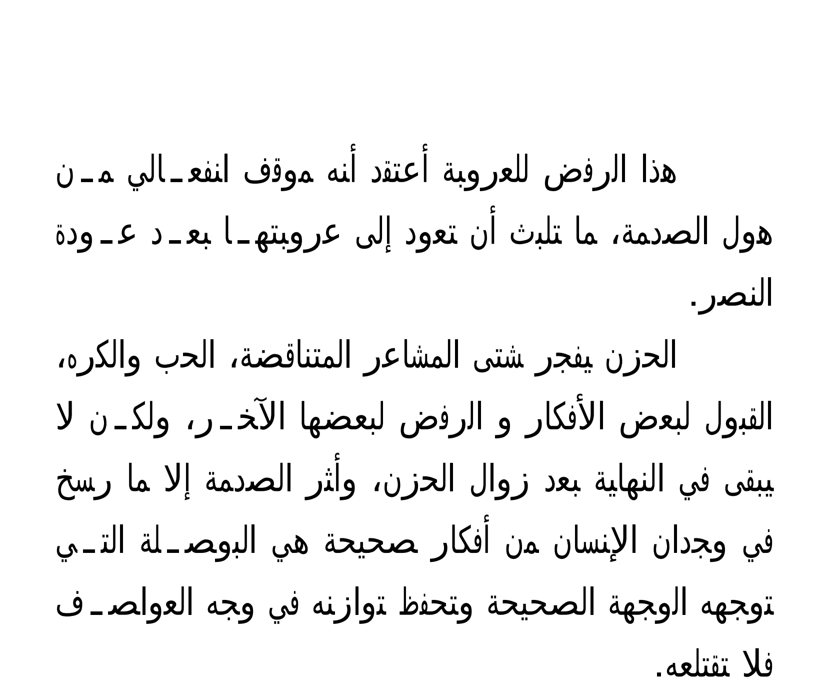


وهذه امرأة أخرى تتحدى عسكر الغازي المنتشـرة فينقاط التفتيش المنتشرة في شوارع الكويت، تتحـدى قوتـه الغاشمة، عقله الغبي، وتعلن تمسكها بهويتها الكويتية التي لا ترضى بغيرها بديلاً.

ـ في قصة " وجه الذئب " يغتصب الجنود الغزاة أماً تحت سمع وبصر الزوج والابن، ولا يتحـرك الـزوج، ولا الابن خضوعاً منه لنصيحة أمه خوفاً عليـه مـن المـوت، ويشهد الابن اغتصاب أمه، وظل في مخبئه، يحرقه الحقـاد والصراع بين مهاجمة العدو وبين الخضوع لنصيحة أمـه. وفعلاً يمسك نفسه، ثم بعد ذلك بعد ما رأى أمه ممصوصـة منكسرة تأخذه الحمية ويأخذ البندقية ويبحث عن وجه ذئـب اغتصب أمه. والكاتبة في هذا الموقف لم توفق إذ كان مـن الأفضل والأقوى أن ينتفض الابن فـي لحظـة الاغتصـاب انتقاماً لأمه، ولأبيه.

ـ أبرزت الكاتبة دور المرأة الكويتية في المقاومـة، ووقوفها متحدية الحواجز السوداء المنتشـرة فـي شـوارع الكويت، وفي التحريض علـى المقاومـة وفـي تمـريض الجرحى. وتسكها بهوتيها الكويتية ورفضها أي هوية أخرى.

ـ في قصة " طاقة " تبين الكاتبة اعتـزاز الإنسـان الكويتي رجلاً وامرأة بهويته لأنها وجوده، وهذا جميل، ولكن لا يؤدي هذا إلى التنصل من العروبة، صحيح أن غدر الآخر قاس وشديد لكن لا يؤدي إلى التنصل من هويتنـا العربيـة تحت أي ظرف من الظروف خصوصاً وأن بـاقي الإخـوة العرب لم يقفوا مكتوفي الأيدي بل هبوا للدفاع عن الكويـت، ولكن أعتقد أن ما لفظت به إحدى الشخصيات فـي قصـة " طاقة " قولها " أحسست قلبي يبكي ذلك الزمن الذي مضـى، قبل انتشارهم كالفئران في مدينتي، لم يكن يهمني ماذا أكون عراقية, أردنية، لبنانية، أي شيء، كنت عربية تخـتلط كـل دماء العرب بعروقي، ولكنني اليوم أنفر أن أكون إلا كويتية، هذا الإحساس يمزقني، ليته الكلاب يفهم، ويتركني أفخر ولـو للحظة أمامه متحدية غضبه وسلاحه، أنني كويتيـة، أننـي أسيانه ... لحد الموت أن أتنصل من عروبتي التي شوهت، لكنه بصلابة يصك على أسنانه، يلقي بالبطاقة على الأرض، يدوس عليها ليسحقها على الأرض " (ص ٢٥).



هذا الرفض للعروبة أعتقد أنه موقف انفعـالي مـن هول الصدمة، ما تلبث أن تعود إلى عروبتهـا بعـد عـودة النصر.

الحزن يفجر شتى المشاعر المتناقضة، الحب والكره، القبول لبعض الأفكار و الرفض لبعضها الآخـر، ولكـن لا يبقى في النهاية بعد زوال الحزن، وأثر الصدمة إلا ما رسخ في وجدان الإنسان من أفكار صحيحة هي البوصـلة التـي توجهه الوجهة الصحيحة وتحفظ توازنه في وجه العواصـف فلا تقتلعه.

وهذا ما صورته الكاتبة ليلـى العثمـان فـي هـذه القصص، لجأت إلـى كـل العناصـر الأساسـية: الأرض، الذكريات، التراث المكونة وجدان الإنسان الكويتي المحرضة له على الانتفاضة دفاعاً عن شرفه ووطنه.

أما الكاتبة ثري البقصمي فتقول عـن مجموعتهـا " رحيل النوافذ ": " إن مجموعتي القصصية هي شهادة جديدة ضد ذلك الزمن المجنون ... وهي تكملة لشهادتي الأولى في مجموعة قصص " شموع السراديب " حيث نقلـت بصـدق

كبير إحساسي، انطباعاتي، ومعايشتي، لتلك الأيام التي سجلها التاريخ على جدران المأساة البشرية " (ص ٧).

لقد كتبت ثريسا البقصمي قصصـها بحـب كبيـر، جسدت أحداثها " أتخيل لحظات جنوني وأنا أرسم العشـرات من اللوحات الحاملة وجوهاً خضراء لشباب أسقطهم رصاص المحتل فاللوحات التي رسمتها في فترة الاحتلال كانت شهادة حية جسدت صراع الفنان مع لغة الإرهاب والقمـع ونحـر الحريات ".

في هذه القصص تصور الكاتبة ممارسـات العـدو العراقي الفظيعة مع الكويتيين من سلب ونهب واعتداء علـى العرض والشرف ... لقد اسـتخدم الغـازي كـل الوسـائل لإحداث التخريب المادي والنفسي ليزرع اليأس فـي نفـوس الكويتيين ليستسلموا لأوهام الزعيم ...

ولكن سقطت الأوهام وتحطمت على صخرة المقاومة الشعبية رجالاً ونساء التي جسدتها الكاتبة بقلمهـا وريشـتها فعبرت عن مواقف صلبة عنيدة جسدها أفراد الشعب والأسر الكويتية التي قدمت أرواحها فداء للوطن، فهذا جريح يصـر على المشاركة وهو لم يتم شفاؤه، وهذه أسرة تسـاعد فـي

تمريض الجرحى، فسعاد فتاة، تقوم بتمريض مقاتل في بيت الأسرة " آه لو صدق فنجانك يا سعاد وشفيت ساقي الجريحة! وا لأركض في الأزقة الضيقة ... تحت جنح الظلام أحمل رشاشي لأصيد به الأوغاد ... سأصـيدهم كالـذباب أهشـم رؤوسهم ... طاخ ... طاخ ... طاخ ... (قلبهـا لأخضـر ص ١٣).

لقد أجهض العدوان حلم سعاد كفتاة مـن حقهـا أن تحب وتتزوج وتنجب أطفالاً. لأن المعتدي يمقت، يريـد أن يخنق الحب وكل العلاقات الإنسانية الجميلة. " لقد زرعـوا التشاؤم والقلق النفسي والتوجس من المستقبل. بصراحة لدي شعور بأن هناك من سيسرق عيني حبيب تلك المرأة، ثم أنـا أكتب لأقتل ذلك الغضب المترسب إلى أناملي " (رجل بـلا عينين ص ٢٠).

لقد قتل الغزو الغادر كل المعاني الجميلة " فـالزمن الحالي مقبرة لكل المشاعر الإنسانية الجميلة، لقد زرعوا في داخلنا عوسج الموت الذي لا يكف عن بث رائحته الكريهة " (رجل بلا عينين ص ٢١).

من لحظات اليأس يبزغ الأمل ويمتد حتـى يغشـى عيون الأعداء ... ينتصب عملاقاً في طفل في شـاب فـي امرأة يرفعون كلهم راية المقاومة لتعلن أن الشعب لا يموت أبداً، فالزوجة بجانب زوجها وهو يجتاز حواجز التفتيش، إنها رغبة التحدي ولو أدى هذا إلى فقدان الزوج ... فقدان الحب ... لأن كل شيء يهون مـن أجـل الـوطن ... " ووقـع العصفور من على زند البحار، وتخبطت عروس البحر فـي شباك حزنها وقلقها، بعد أن خافت من سرقة عينيه، فهي تعلم بأن زنزاناتهم المظلمة العفنة لا تسـمح لحوريـات البحـر بدخولها، وعصافير الشـوق تخـر عنـد عتبـات أبـواب الزنزانات، لقد بثته خوفها وقلقها صباح ذلـك اليـوم الـذي اعتقل فيه " (رجل بال عينين ص ٢٢).

لقد زرع العدو الموت بالجملة ودفنهم بلا كفن، وفي لمحة ذكية كشفت الكاتبة عن رداءة العدو في هـذه الجملـة التي تحمل كل الأسى والحزن في حديث بين شخصيتين عن القماش الأبيض، " لقد حصلنا عليه من مخـازن معسـكرات الجيش في أول أيام الغزو واستخدمناه، أكفاناً لموتانا ... لـم نعد بحاجة إليه، أوامرهم صدرت بدفن المـوتى الكـويتيين

بدون أكفان ... أوامر تحمل عقاباً صارماً بحق الأمـوات " (كانت هي الشاهد ص ٢٨).

وتواصل الكاتبة كشف فظاعـة العـدوان العراقـي وممارساته غير الإنسانية، يقُتل الشباب أمام أهاليهم وتتـرك جثثهم في الشارع ليكونوا عبرة لمن تسول له نفسه المقاومة، ولكن لم يزد هذا الأهالي إلا إصراراً على المقاومة للـدفاع عن كرامتهم ... عن عرضـهم. " وأمـام الجمـع الغفيـر المسيطر عليه شعور الذعر، أسندت إلى الحائط تسعة أجساد شابة شوهتها لغة التعذيب ... الورقـة التـي وقعهـا (أي القائد) حملت هذه الجملة " تم إعدام الخونة رمياً بالرصاص ... الأوامر العسكرية أن تترك الجثث في العـراء، لتبقـى موعظة للآخرين " (كانت هي الشاهد ص ٢٩).

وظلت الشاهدة على فظاعة العسكر هـي الشـاهدة والحالمة بإهداء قطعة القماش البيضاء للجثـث الملقـاه فـي العراء " وتبقى هي الشاهد الحالم بإهداء اللفافة إلى كل الجثث المغلفة بالصقيع الأخضر " (كانت هـي الشـاهد ص ٣٠) وصادر الضباط لفافة القماش " صـاحب البـزة العسـكرية المشحونة بالغضب صادر لفافة القمـاش ... أصـدر أمـراً

لترسل حالاً إلى بغداد إلى جماعته إلى امرأته المهجورة منذ أن بزغت شمس أم المعارك ".

وتصور الكاتبة دون المرأة الكويتية وصمودها أمـام تعذيب العسكر العراقيين " كل ما فعلناه بها وهي ما زالـت صامتة الجدار ... النساء عندنا بعد حفلـة تعـذيب واحـدة يسردن حكايات تقضي على عشيرة بأكملها ... نساؤها غير شكل. عناد أحمق " (دائرة البساطير ص ٣٤).

في " رحيل النوافذ " يرسل الحبيب، بعيداً ويتسـرب الحزن إلى الحبيبة المنتظرة في النافذة عودة الحبيب.

كان كل ما فعلته لقتل مشروع حب كتب عليه الفشل منذ بدايته، وهو أنها أغلقت زجاج النافذة ثم ألصقت أرنبـة أنفها بالزجاج البارد وانتحبت بعنف، وهي تشيع سرباً مـن الأحلام اليقظة، المحلقة في سماء مراهقتها الأولى (رحيـل النوافذ ص ٥٤).

" وتظل ترقب الفتاة الشارع الذي تطل عليـه مـن خلال نافذتها، مشطته بنظراتها غير المستقرة لـم ترعبهـا أشكال الآليات العسكرية العراقية وهـي تعـذب الأسـفلت

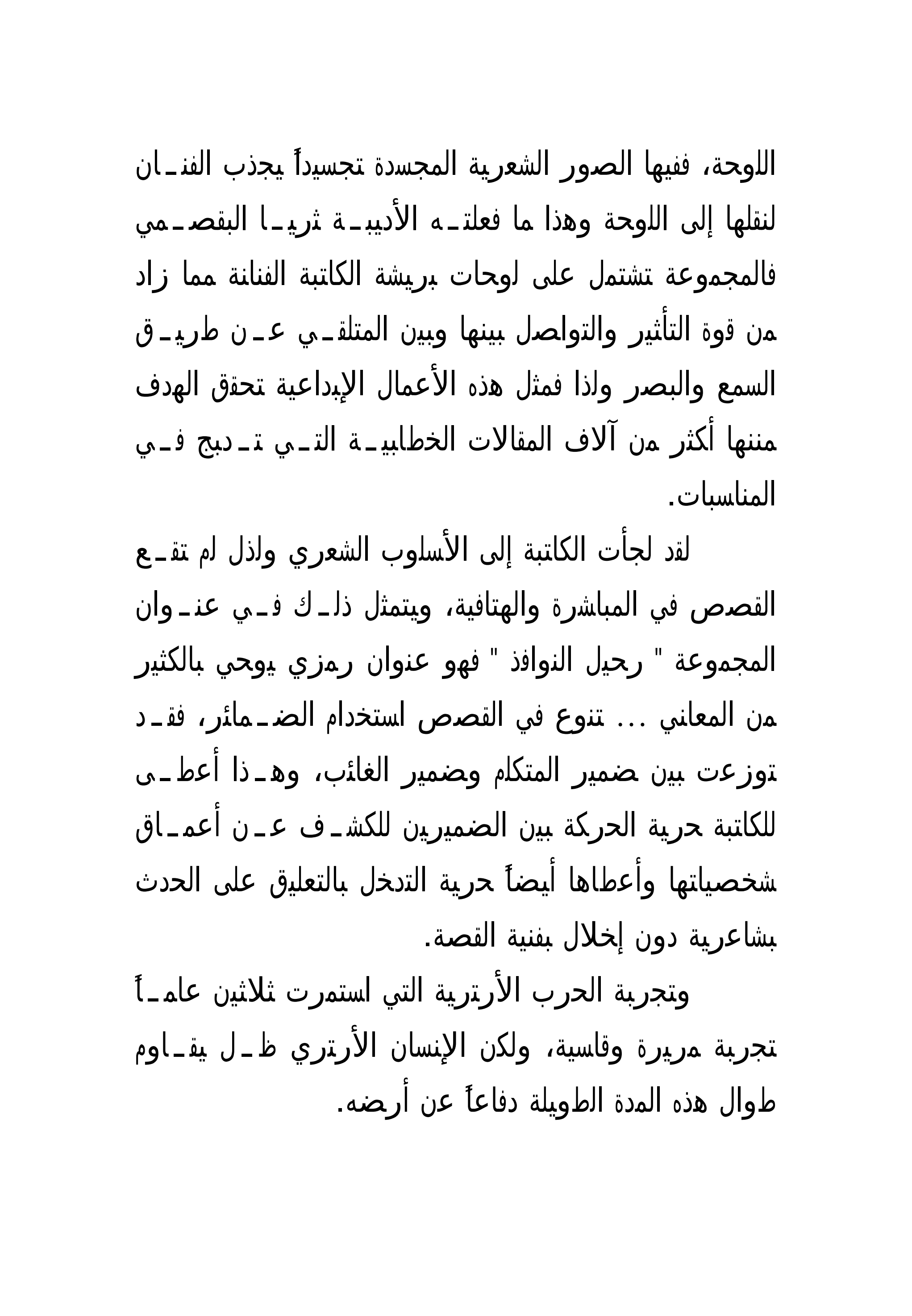
بسرعتها العشوائية، لقد اعتادت شـكلها القمـيء، المتسـاق لظهر المدينة العادي " (رحيل النوافذ ص ٥٦).

ويعود الحبيب بعدما أنجز مهمته السرية.

وفي قصة " العجز الأبيض " تصور عجـز الكاتبـة عن الكتابة، لقد أجهضت الصدمة الرغبة في الكتابة ... لقـد أحست بالشلل " إن السبب يعود للصدمة النفسية التي تلقيتهـا في صبيحة اليوم المشؤوم". (العجز الأبيض ٦٢) ولكنهـا رغم توقفها عن الإبداع، فإنهـا لـم تتوقـف عـن كتابـة المنشورات السرية.

وهكذا صورت ثريا البقصـمي بطـولات الشـعب الكويتي الذي جمع إرادته ووقف في وجه الغزو كل حسـب قدراته وإمكاناته ... المهم أن يشارك الجميع فـي المقاومـة ...

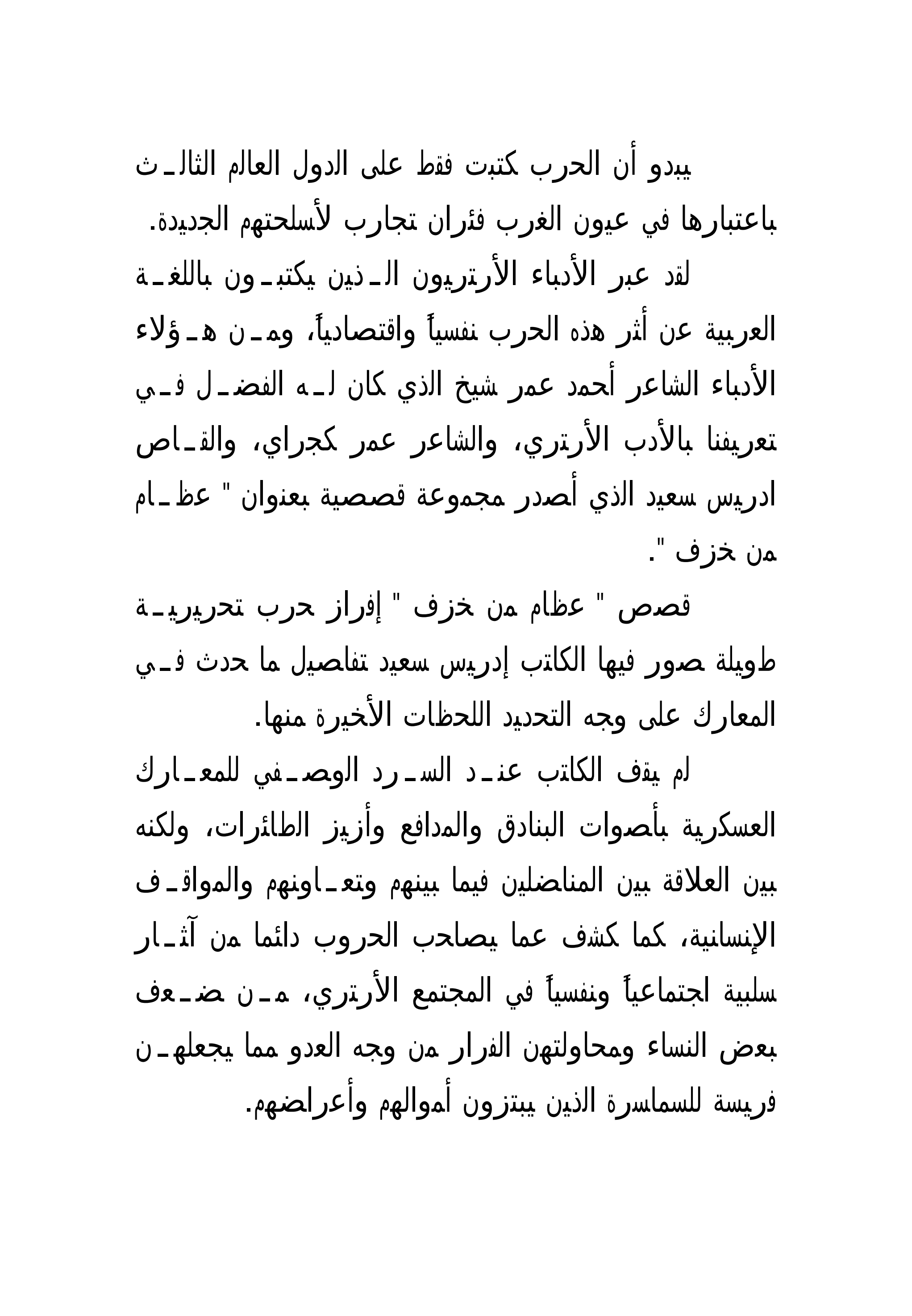
ثريا البقصمي أديبة وفنانة تشكيلية أقامت العديد من المعارض الفنية في الكويت وفي البلاد العربية، ولـذا فهـي تمتلك ناصية التعبير بأداتين هما التعبيـر بالكلمـة والرسـم بالريشة، وأعني رسم الكلمات بتجسيدها وتلوينهـا بالفرشـاة تلويناً يشي بالحالة النفسية للشخصيات، ولذا يمكن القـول أن مجموعتها القصصية " رحيل النوافذ " اجتمع فيهـا القصـة/



اللوحة، ففيها الصور الشعرية المجسدة تجسيداً يجذب الفنان لنقلها إلى اللوحة وهذا ما فعلته الأديبة ثريا البقصمي فالمجموعة تشتمل على لوحات بريشة الكاتبة الفنانة مما زاد من قوة التأثير والتواصل بينها وبين المتلقي عن طريق السمع والبصر ولذا فمثل هذه الأعمال الإبداعية تحقق الهدف منها أكثر من آلاف المقالات الخطابية التي تدبج في المناسبات.

لقد لجأت الكاتبة إلى الأسلوب الشعري ولذل لم تقع القصص في المباشرة والهتافية، ويتمثل ذلك في عنوان المجموعة " رحيل النوافذ " فهو عنوان رمزي يوحي بالكثير من المعاني ... تنوع في القصص استخدام الضمائر، فقد توزعت بين ضمير المتكلم وضمير الغائب، وهذا أعطى للكاتبة حرية الحركة بين الضميرين للكشف عن أعماق شخصياتها وأعطاها أيضاً حرية التدخل بالتعليق على الحدث بشاعرية دون إخلال بفنية القصة.

وتجربة الحرب الأرترية التي استمرت ثلاثين عاماً تجربة مريرة وقاسية، ولكن الإنسان الأرتري ظل يقاوم طوال هذه المدة الطويلة دفاعاً عن أرضه.



يبدو أن الحرب كتبت فقط على الدول العالم الثالث باعتبارها في عيون الغرب فئران تجارب لأسلحتهم الجديدة.

لقد عبر الأدباء الأرتريون الذين يكتبون باللغة العربية عن أثر هذه الحرب نفسياً واقتصادياً، ومن هؤلاء الأدباء الشاعر أحمد عمر شيخ الذي كان له الفضل في تعريفنا بالأدب الأرتري، والشاعر عمر كجراي، والقاص ادريس سعيد الذي أصدر مجموعة قصصية بعنوان " عظام من خزف ".

قصص " عظام من خزف " إفراز حرب تحريرية طويلة صور فيها الكاتب إدريس سعيد تفاصيل ما حدث في المعارك على وجه التحديد اللحظات الأخيرة منها.

لم يقف الكاتب عند السرد الوصفي للمعارك العسكرية بأصوات البنادق والمدافع وأزيز الطائرات، ولكنه بين العلاقة بين المناضلين فيما بينهم وتعاونهم والمواقف الإنسانية، كما كشف عما يصاحب الحروب دائما من آثار سلبية اجتماعياً ونفسياً في المجتمع الأرتري، من ضعف بعض النساء ومحاولتهن الفرار من وجه العدو مما يجعلهن فريسة للسماسرة الذين يبتزون أموالهم وأعراضهم.

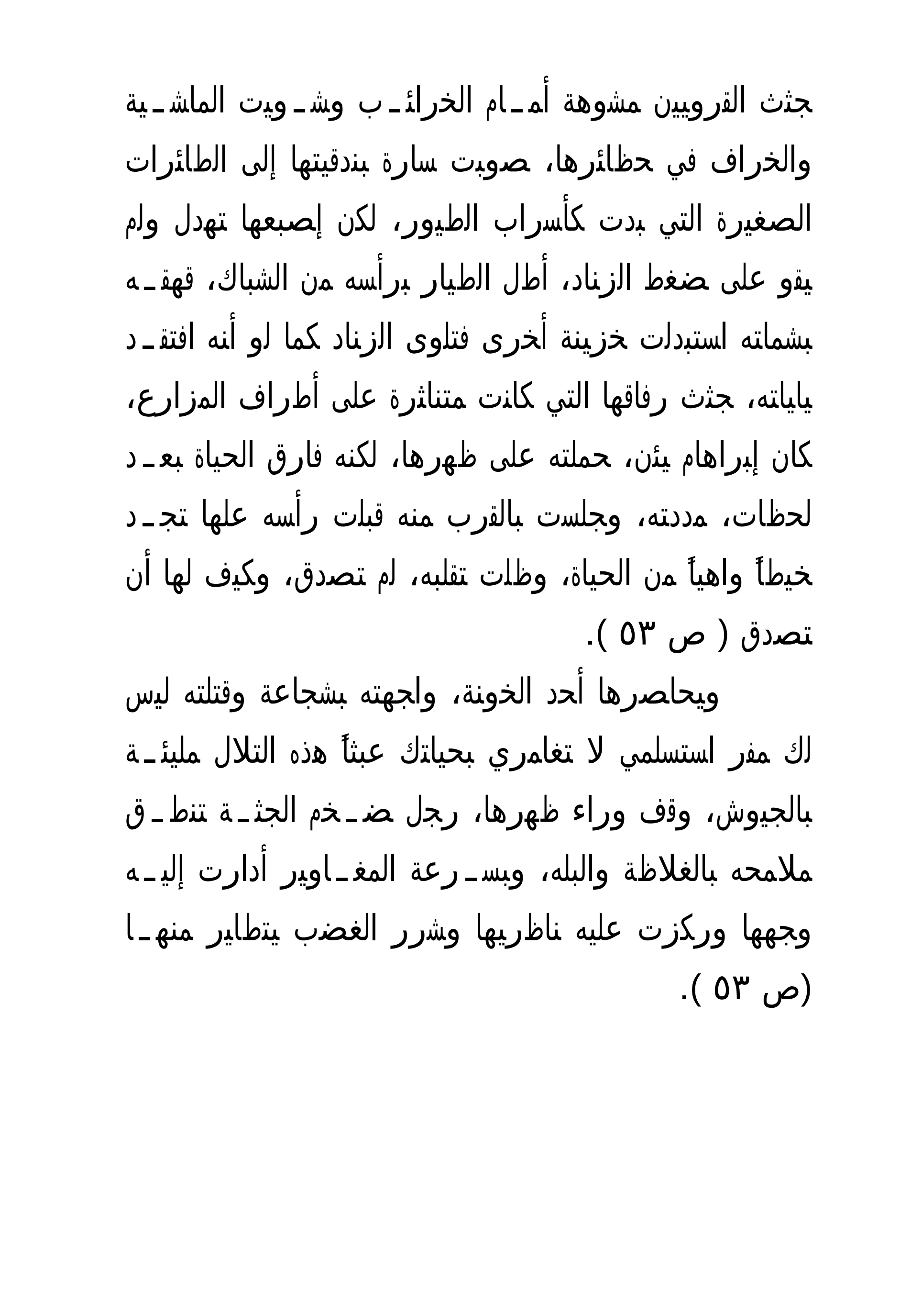
وفي الحرب تتكشف النفس الإنسانية على حقيقتها بما فيها من ضعف وقوة فتقدم صورة واقعية مشرفة للمناضـلين رجالاً ونساء، الذين ضحوا بأرواحهم فداء للوطن، وسطروا بدمائهم ملحمة التحرير، وهذه الصورة الواقعية للحرب نجدها في جميع قصص المجموعة.

فـ " اري ناتي " في قصة " حقل بين حدي سـيف " يكتب رسالة لحبيبته بين فيها حياته في الخندق: " ما أجمـل الحياة في الخنادق وما أمرها فهي جميلة مع هـؤلاء الفتيـة وهي مرة مع القذائف والأمطار والبرد والجـوع، القـذائف تتساقط والمطار تتساقط، والبرد أيضا يتساقط طوال الليالي، ومع ذلك فإن ناموس الحياة هنا يختلف عن الحيـاة الرتيبـة التي اعتدناها كم كنت أتمنى أن أراك مـع هـؤلاء البشـر، فالبشر هنا سواسية، ليس هناك مهنة خاصة للمرأة كما هـو عند جيراننا (ص ٧٣) هكذا الحرب ينصـهر الكـل فـي بوتقتها، فيصبح الكل واحدا رجالاً ونساء، لأن الأمـر أمـر حياة أو موت فلابد أن يتعاون الجميع في محنتهم؛ ثم يتحدث " أرى ناتي " عن حلمه في حياة مستقرة في ظـل الحريـة والسلام " اتذكرين يا جماتي" عندما قلت لـك لا حيـاة ولا

سعادة بدون سلام .لا اعتقد انك تذكرين هذا الكلام لأنك كنت تنوحين وتتمرغين على التراب من لوعة الفراق كان هذا منذ ثلاث سنوات عندما عزمت على حمل السلاح مـع أي قـوة تجنبنا للمهانة ... عندما تنتهي الحرب وهي لا محالة ستنتهي عن قريب، سنتزوج ونعيش في الحياة لا تعكرهـا الشـفقة وسرقة الماشية وعساكر الاستعمار الذين يهشـمون جمـاجم الرجال من أجل الحصول على مغراف الحليب المـروب أو على كأس من الخمر " (ص ٧٣).

فالكاتب يجسد في اري ناتي حلم الشباب الاريتريين في المستقبل، فالحرب بالنسبة لهم طريق إلى حياة جديدة ... من نارها يثبت الأمل في حياة حرة كريمة يترعـرع فيهـا الحب.

وفي قصة " عظام من خزف " يبرز الكاتب مشاركة المرأة الارتيرية في النضال " سارة " تصمت وحيـدة لصـد هجوم إحدى الطائرات وتقتل أحد الخونة، ويرسم الكاتب هذا الموقف تفصيلياً. حلق سرب مـن الطـائرات علـى علـو منخفض ممطراً الأرض برشاشات الفكرز والقنابل الحراقـة أحرقت البساتين وتحولت الأكواخ إلى رماد هنـاك ترامـت


جثث القرويين مشوهة أمـام الخرائـب وشـويت الماشـية والخراف في حظائرها، صوبت سارة بندقيتها إلى الطائرات الصغيرة التي بدت كأسراب الطيور، لكن إصبعها تهدل ولم يقو على ضغط الزناد، أطل الطيار برأسه من الشباك، قهقـه بشماته استبدلت خزينة أخرى فتلوى الزناد كما لو أنه افتقـد ياياته، جثث رفاقها التي كانت متناثرة على أطراف المزارع، كان إبراهام يئن، حملته على ظهرها، لكنه فارق الحياة بعـد لحظات، مددته، وجلست بالقرب منه قبلت رأسه علها تجـد خيطاً واهياً من الحياة، وظلت تقلبه، لم تصدق، وكيف لها أن تصدق (ص ٥٣).

ويحاصرها أحد الخونة، واجهته بشجاعة وقتلته ليس لك مفر استسلمي لا تغامري بحياتك عبثاً هذه التلال مليئـة بالجيوش، وقف وراء ظهرها، رجل ضـخم الجثـة تنطـق ملامحه بالغلاظة والبله، وبسـرعة المغـاوير أدارت إليـه وجهها وركزت عليه ناظريها وشرر الغضب يتطاير منهـا (ص ٥٣).

رفضت سارة الاستسلام، وواجهت الخائن بسـلاحها أفرغت في صدره الخزينة فحملته قـوة الرصـاص بعيـداً متناثراً قطعة قطعة (ص ٥٣).

الطبيعة هنا تسري في وجدان الكاتـب فهمـي لهـا حضور حي في جميع القصص حضور نابض بالحياة يصفها الكاتب بأسلوب محبب لما تحدثه الحرب للطبيعة من تشـويه ... انه عشق وغرام بالطبيعة ... ويتجسد هذا العشـق فـي اسلوب الكاتب النابض بالحرارة المضمخ بالحب وفي رشاقة الفاظه، فجاء وصفه للطبيعة لوحات فنية تحتاج لريشة الفنان، ففي قصة " عشق الرصاص " يقول: " كانت السـماء كئيبـة وبدت بقعها التي ظهرت من خلال الغصون كما لـو أنهـا ستهوى على العباد. القردة التي تحرس السماء ليلاً خوفاً من تساقط النجوم على رؤوسها لم تنم قريرة العين وسقف السماء ينزلق ليصل قمم الأشجار العالية، قصور القردة المفضلة في الصيف لكنها عندما يحل الشتاء تقترب السماء يتساقط الرذاذ كدموع عانس، تنزوي قطعان القردة تحت أقبيـة الصـخور الكبيرة التي هي أوكارها الشتائية ومن هناك تطلق الصيحات

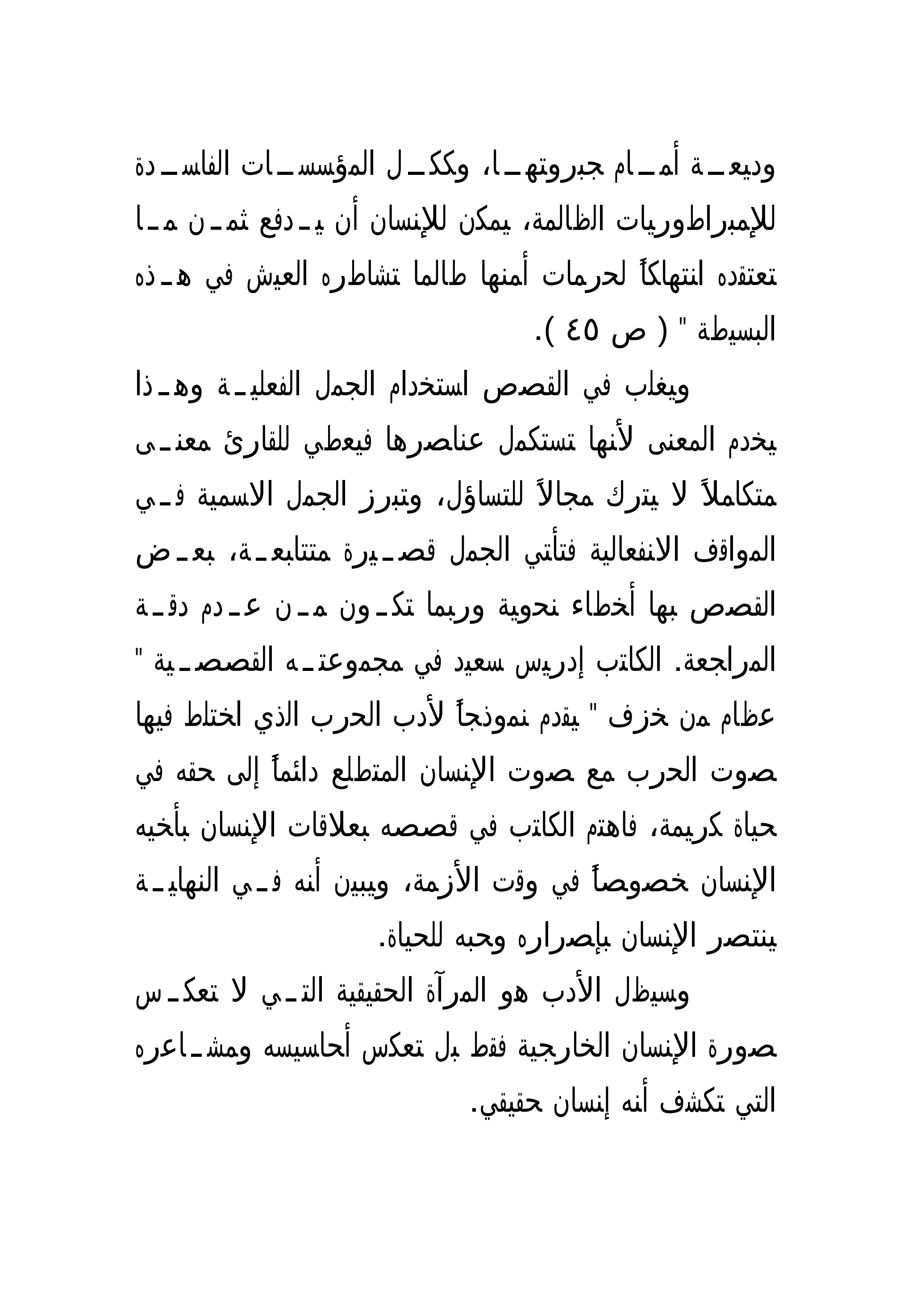
كما لو أنها تشمت بأبناء آدم الـذين يجـرون وراء الحريـة والأمان إلى أبد الدهر " (ص ٢٧).

وفي قصة " وداعا أيها الخندق " تقرأ هـذه اللوحـة وصورة حية للإنسان والطبيعة وقت انفجـار قذيفـة " أيهـا الرفاق احتموا بالملاجئ. دوى بعضـها (القـذائف) مـا انغرزت على الأرض بعد ومـيض برقـي خـاطف، أمـا الأحجار التي أحضرت لبناء خنادق جديدة فقد تحولت إلـى جير واستقر بعض شظاياها على أعتاب الخنادق، صـرخت العصافير بمرارة تقافزت وقد تهيضت أجنحتها، ما لبثت أن عادت إلى الأعشاب المحترقة تترنح مؤكدة عنادها الأبـدي، منذ سنوات خلت شدت أسراب من كل أجناس وقبائل الطيور رحالها إلى كل أرض ا وسمائه وهي تنشد زغاريد وداعية حزينة، وعلى أجنحتها ارتسمت مأساة الهجرة. أما أناشـيدها الشجية هذه التي لحنت في درب اللجوء أدانت كل شيء في هذا الكوكب، لعنت من صنع الحرب وسفهت مـن اختـرع المدفع وأحرق الغابات وفي درب الغربة تآخت وتـآزرت " (ص ١٤).

وأسلوب القصص شاعري ويبدو هذا واضحاً في مقدمات القصص، وفي اللوحات التي يصف فيها الكاتب الطبيعة أي أنه يمكن القول أن الكاتب اتبع الواقعية الشعرية، التي ترتفع بجفاف الأسلوب الواقعي وما فيه من مباشرة تفرضها آنية اللحظة بما فيها من حرارة وسخونة ... ومزاوجة الكاتب بين الطبيعة والواقع أكسب المواقف التي وصفها نبضاً وحيوية.

وفي بعض القصص يبدو واضحاً تدخل الكاتب بالتعليق على بعض المواقف مما أحدث خدشاً في نسيج القصة كما في قصة " حقل بين حدي السيف " الرجل يكون ذليلاً عندما يحب الحياة، قديماً تعامل أجدادنا مع الحياة كما لو أنها قدر مفروض، فكانوا لا يخشون شيئاً، أما نحن فقد بلغنا حدا نركع فيه لمن يعتقد أنهم يمنحون الحياة ويمنعون الموت (ص ٦٢).

وفي قصة " عظام من خزف " يقول " ما أعتى إمبراطورية الليل فهي متسلطة ككل الإمبراطوريات البشرية لكنها تختلف في أن جيوشها لا تتهاون في أداء مهامها المتمثلة في التنكيل بأبناء النهار الذين يتحولون إلى حملان



وديعة أمام جبروتها، وككل المؤسسات الفاسدة للإمبراطوريات الظالمة، يمكن للإنسان أن يدفع ثمن ما تعتقده انتهاكاً لحرمات أمنها طالما تشاطره العيش في هذه البسيطة " (ص ٤٥).

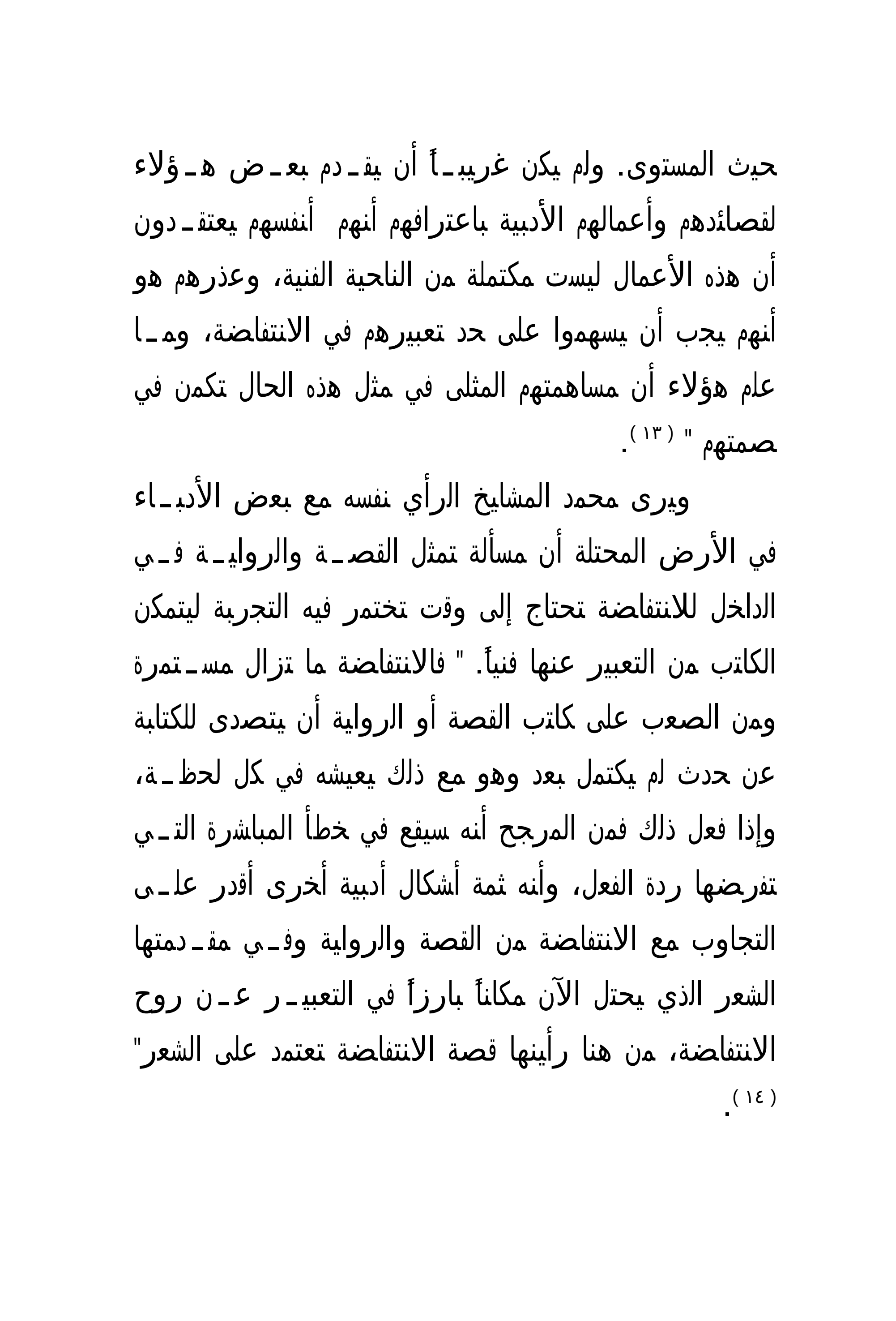
ويغلب في القصص استخدام الجمل الفعلية وهذا يخدم المعنى لأنها تستكمل عناصرها فيعطي للقارئ معنى متكاملاً لا يترك مجالاً للتساؤل، وتبرز الجمل الاسمية في المواقف الانفعالية فتأتي الجمل قصيرة متتابعة، بعض القصص بها أخطاء نحوية وربما تكون من عدم دقة المراجعة. الكاتب إدريس سعيد في مجموعته القصصية " عظام من خزف " يقدم نموذجاً لأدب الحرب الذي اختلط فيها صوت الحرب مع صوت الإنسان المتطلع دائماً إلى حقه في حياة كريمة، فاهتم الكاتب في قصصه بعلاقات الإنسان بأخيه الإنسان خصوصاً في وقت الأزمة، ويبين أنه في النهاية ينتصر الإنسان بإصراره وحبه للحياة.

وسيظل الأدب هو المرآة الحقيقية التي لا تعكس صورة الإنسان الخارجية فقط بل تعكس أحاسيسه ومشاعره التي تكشف أنه إنسان حقيقي.

القصة في الانتفاضة

(١) تمهيد:

الفعل النضالي حرباً كان أم انتفاضة شعبية أم معركة محدودة في حاجة شديدة للكلمة لأنها فعل مقاوم تحريضي لا غنى عنها لمواكبة الحدث في حينه، لشحذ الهمـم، وإشـعال الوجدان الشعبي، ولأنها أيضاً وثيقة مهمة للتاريخ، لهـذا لا يمكن الاستغناء عن الإبداع في الحروب، كما يـرى بعـض الأدباء أنه من الأفضل صمت المبدعين لأن الصمت أفضـل مما سيكتبونه لأنه سيكون ضعيفاً فنياً ولن يكون على مستوى الحدث. ومن أصحاب هذا الرأي الدكتور نبيل الشريف الذي يرى أن هناك مفاهيم خاطئة حول ما يراه بعض المبـدعين بضرورة المشاركة ليواكبوا الحدث رغم أنه لا داعي له لأن " إبداعهم سواء أكان شعراً أو قصة أقل بكثير مما ينبغي من

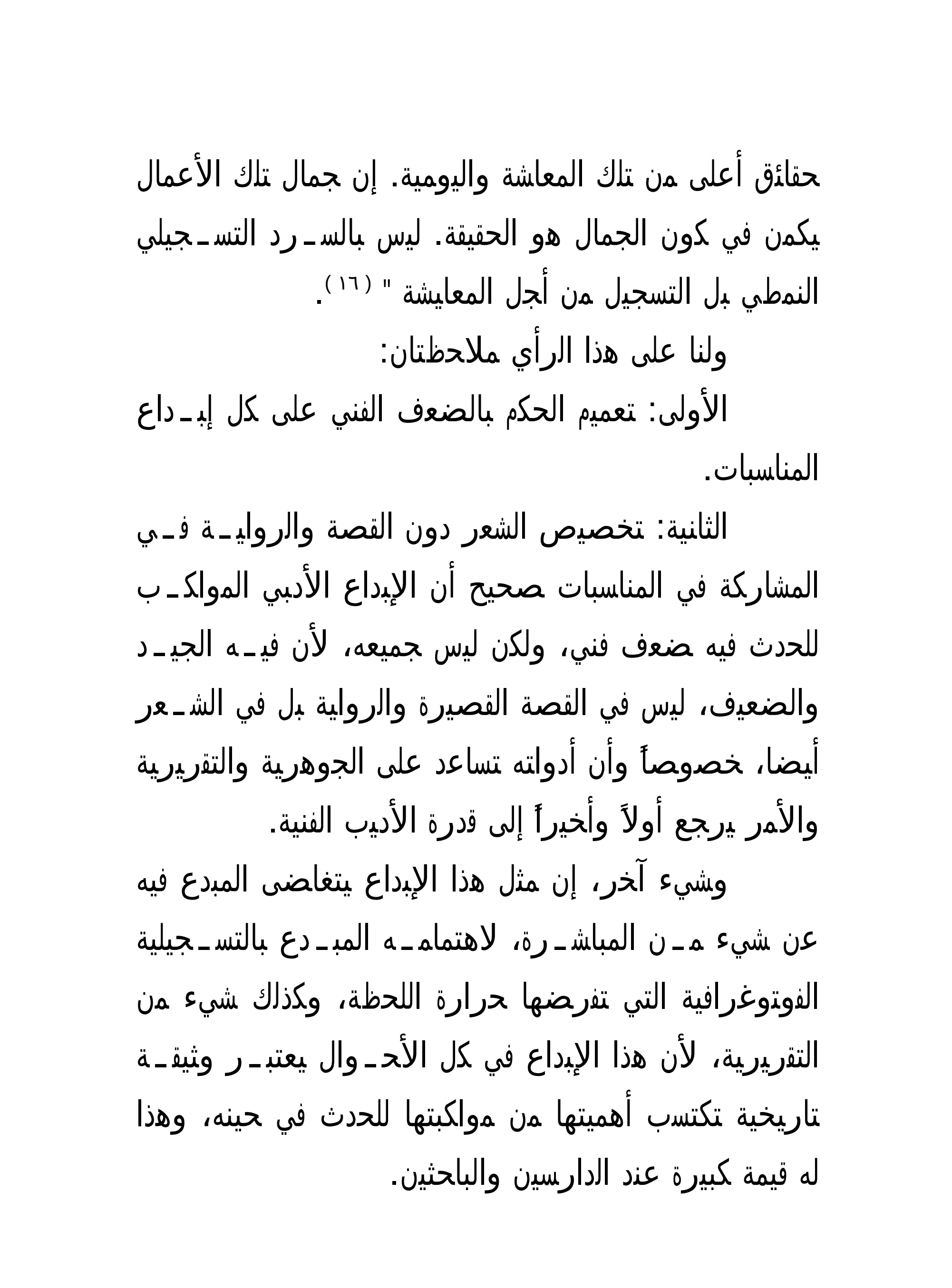


حيث المستوى. ولم يكن غريباً أن يقدم بعض هؤلاء لقصائدهم وأعمالهم الأدبية باعترافهم أنهم أنفسهم يعتقدون أن هذه الأعمال ليست مكتملة من الناحية الفنية، وعذرهم هو أنهم يجب أن يسهموا على حد تعبيرهم في الانتفاضة، وما علم هؤلاء أن مساهمتهم المثلى في مثل هذه الحال تكمن في صمتهم "[١٣].

ويرى محمد المشايخ الرأي نفسه مع بعض الأدباء في الأرض المحتلة أن مسألة تمثل القصة والرواية في الداخل للانتفاضة تحتاج إلى وقت تختمر فيه التجربة ليتمكن الكاتب من التعبير عنها فنياً. " فالانتفاضة ما تزال مستمرة ومن الصعب على كاتب القصة أو الرواية أن يتصدى للكتابة عن حدث لم يكتمل بعد وهو مع ذلك يعيشه في كل لحظة، وإذا فعل ذلك فمن المرجح أنه سيقع في خطأ المباشرة التي تفرضها ردة الفعل، وأنه ثمة أشكال أدبية أخرى أقدر على التجاوب مع الانتفاضة من القصة والرواية وفي مقدمتها الشعر الذي يحتل الآن مكاناً بارزاً في التعبير عن روح الانتفاضة، من هنا رأينها قصة الانتفاضة تعتمد على الشعر"[١٤].

والدكتور عبد الكريم الأشتر يرى أيضاً الرأي نفسه، " لأن مثل الأدب الروائي الملتزم الذي يكتب في مثل هذه الأحوال التي تحتدم فيها المشاعر هذا الاحتدام، تتهدده جملة من الأفكار، لعل أقربها إليه خطر المباشرة، وهو أن يلقي الكاتب ظله عليه، ويحرك الأحداث والشخوص كما تتحرك الدمى بنوابض مصطنعة، فلا تعود الحركة تفيض عن ذات الحدث ومن داخله وداخل الشخصيات المتفاعلة معه، وإنما تدفع الشخصيات دفعاً فتبدو مسيرة كالقاطرة البكماء ... ومعنى ذلك القضاء على دينامية الحدث وإرادة الشخصيات وبالتالي طمس مظاهر الحياة في العمل الروائي الملتزم. وخط الخطابية وهتاف وجهارة النبرة الدعائية التي تقضي على موضوعية الحدث وتصيب القارئ بردود فعل قاسية ينهار معها العمل كله في نفسه ويفقد كيانه الذاتي وشخصيته المستقلة، ويصبح حجراً من قلاع الكاتب يصيب به من يقبل به " (١٥).

ويتفق السيد الوكيل أيضاً على الرأي نفسه، لأن أدب الحرب والجيد هو الذي يكتب بعد انجلاء الحقائق " يسجل أرشيف أدب الحرب أن أجود الأعمال كتبت بعد أن انجلت


حقائق أعلى من تلك المعاشة واليومية. إن جمال تلك الأعمال يكمن في كون الجمال هو الحقيقة. ليس بالسرد التسجيلي النمطي بل التسجيل من أجل المعايشة "[١٦].

ولنا على هذا الرأي ملاحظتان:

الأولى: تعميم الحكم بالضعف الفني على كل إبداع المناسبات.

الثانية: تخصيص الشعر دون القصة والرواية في المشاركة في المناسبات صحيح أن الإبداع الأدبي المواكب للحدث فيه ضعف فني، ولكن ليس جميعه، لأن فيه الجيد والضعيف، ليس في القصة القصيرة والرواية بل في الشعر أيضا، خصوصاً وأن أدواته تساعد على الجوهرية والتقريرية والأمر يرجع أولاً وأخيراً إلى قدرة الأديب الفنية.

وشيء آخر، إن مثل هذا الإبداع يتغاضى المبدع فيه عن شيء من المباشرة، لاهتمامه المبدع بالتسجيلية الفوتوغرافية التي تفرضها حرارة اللحظة، وكذلك شيء من التقريرية، لأن هذا الإبداع في كل الأحوال يعتبر وثيقة تاريخية تكتسب أهميتها من مواكبتها للحدث في حينه، وهذا له قيمة كبيرة عند الدارسين والباحثين.

لهذا كان تعميم الحكم برفض الإبداع المواكب للحدث رأياً يحتاج إلى إعادة نظر.

أما تحديد الشعر فقط دون القصة القصيرة والرواية لمواكبة الحدث لسرعة استجابته الانفعالية، فنرى أنه الآن بعد أن حققت القصة القصيرة تقدماً كبيراً على يد القاصين وصل إلى حد وجود القصة القصيرة جدا القريبة من الشعر، من ناحية التركيز والشاعرية، تستطيع القصة القصيرة بنوعيها مواكبة الحدث في حينه مثل الشعر تماماً.

أما الرواية فنحن معهم في أنها تحتاج إلى وقت كاف لتخرج إلى الوجود. وأعتقد أن لنا في الأحداث المهمة التي مرت بالوطن العربي: هزيمة ١٩٦٧م، انتصار أكتوبر، انفصال الوحدة بين مصر وسوريا، غزو العراق للكويت، الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧م، والانتفاضة الثانية سبتمبر/ أكتوبر ٢٠٠٠م، خير مثال على صدق ما نقول، إذ لولا وجود الإبداع الأدبي المواكب لهذه الأحداث بأجناسه المختلفة لما وجد الدارسون مرجعاً حياً يرجعون إليه لدراسة هذه الأحداث المهمة.

إن تاريخنا الأدبي حافل بالإبداع الأدبـي المواكـب للحدث، لأن العلاقة بين الكلمة والنضال علاقة تلازميـة، لا غنى لكل منهما عن الآخر، ويرجع هذا إلى تقدير الكلمة في تكوين الوجدان الشعبي، وبث الحماسة، واستثارة القيم الدينية والوطنية المحفزة على النضال.

(٢) الكلمة المقاومة:

إن تاريخ البشرية يبين مدى حاجـة الإنسـان فـي صراعه مع الحياة إلى الفنون لأن " الفنـون التـي ابتـدعها الإنسان من جانبه، ما كانت إلا لبـث روح المقاومـة فـي صراعه مع القوي الأخرى التي تهـدده، وتعـرض كيانـه للخطر ... ما كانت النار، الأعاصير، الحيوانات المفترسـة، الفيضانات ... إلخ إلى قوى شريرة أو حتى نافعـة، لكنهـا قادرة، ومهلكة، فلجأ إلى المقاومـة السـلبية ... وظهـرت العبادات والطقوس العقائدية، وعرف التمائم والقـرابين ... وعرف الفن " (١٧).

ويبين أيضا الدكتور محسن خضر أهمية الكلمة فـي تدعيم إرهاصات الإحياء القومي، فالثقافة لها " رسالتها الحية

وفعلها الإنساني الخلاق فـي مواجهـة مواقـف الإنكـار، وتصحيح أخطـاء السياسـة، والكشـف عـن المرتكـزات الموضوعية في ثقافة الأمة، وتوجيه سهام النقد إلى الجـذور العفنة تحت التربة، وفضح السلبيات والقبح والفساد " (١٨).

وللثقافة دور مهم في حياة الإنسان فهي تشـد مـن عزمه، لمواجهة التحدي، وأهميتها تزداد في أوقات الانكسار والتردي على حد قول الدكتور محسـن خضـر " إن ثقافـة المقاومة مطالبة بالوقوف في وجه صيحات الهزيمـة كلهـا ومنظري التكيف، ودعاة الهزيمة بحجة المسايرة والمواءمـة والأمر الواقع " (١٩).

وقد بين الرسول الكريم ـ صلي ا عليه وسـلم ـ أثر الكلمة في الكفار: " والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل " وقال الرسول أيضاً لحسان بن ثابـت الحـديث التالي:

روت السيدة عائشة: قالت: قال رسول ا ـ صـلي ا عليه وسلم ـ:

" اهج المشركين فإنه اشد عليهم من رشـق النبـل "

صدق رسول ا .

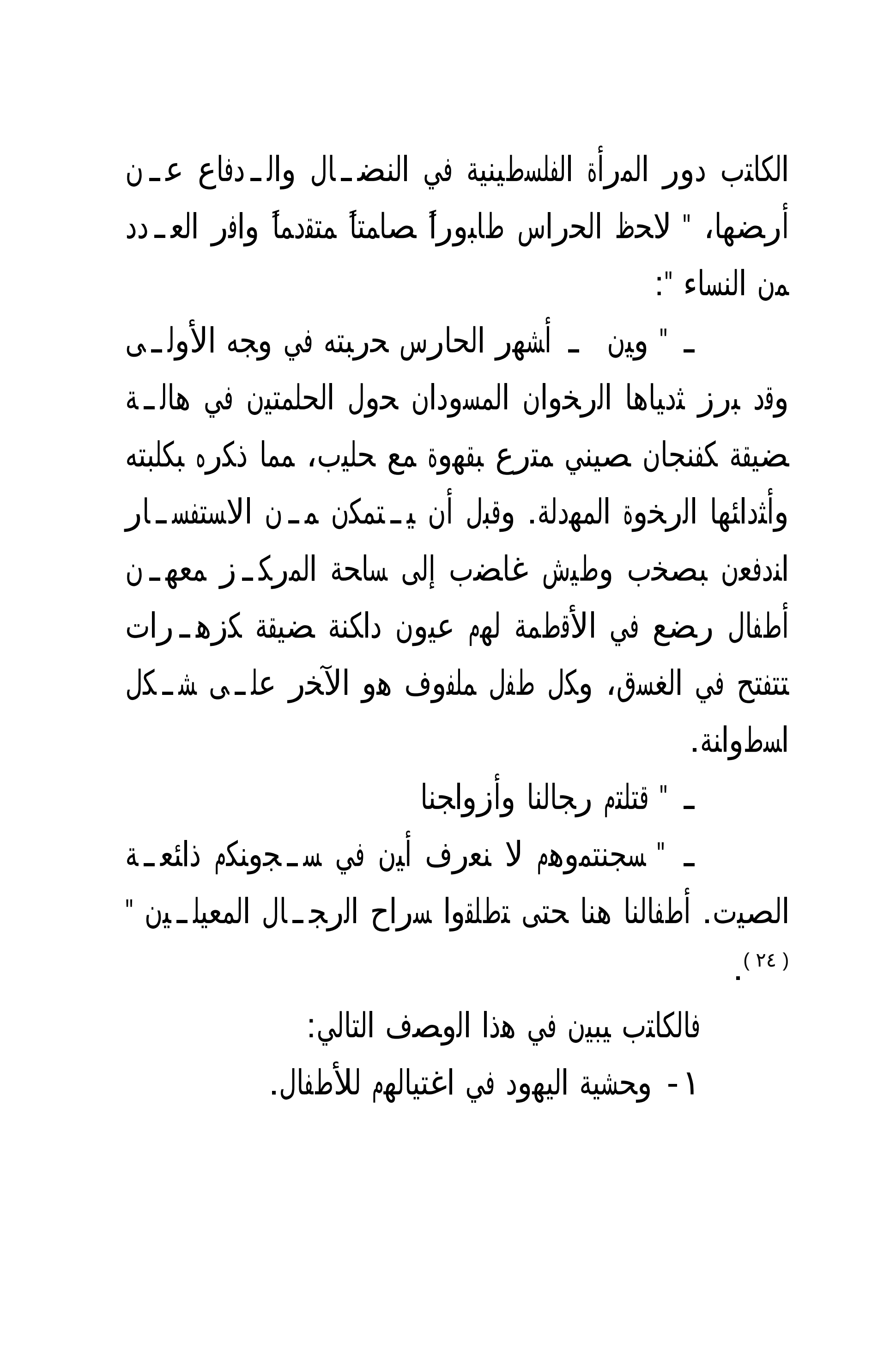
النماذج التي أتناولها بالدراسة والتحليل، هي نمـاذج قصصية كتبها كتاب فلسـطينيون فـي الانتفاضـة الأولـى ونشرت في صحيفة الاتحاد الحيفاوية، أهداها إلي مشـكوراً الصديق الفاضل الأستاذ محمد المشايخ، فاحتفظت بها حتـى حانت لحظة إعداد كتاب عن أدب الانتفاضة.

في قصة " الزمن الجديد " [٢٠] لنبيل عـوده يبـين الكاتب فيها الفرق بين جيلين: الجيل الجديد، والجيل القـديم، فالأول مشلول الإرادة، عاجز عن التفكير السليم، سلبي، أمـا الثاني فثوري، إيجابي، لا يعرف الخوف، فالشاب " سـليم " يفجر المقاومة بالحجارة في قريته، وأصبح رمـزاً بطوليـاً لصديقه " وليد " تعلم منه حب الأرض والتضحية من أجلها، لأنه دفاع عن شرفه وأهله، " كان يحلم بزمن مختلف يخلص الإنسان من غربته، ينقذه من وحشته، زمن يعطـي للثمـر طعمه الحقيقي، وللكلمة وقعهـا الصـحيح وللحـب معنـاه الإنساني الأصيل فيه تنتهي المعاناة وتمتد السعادة. يتضـاءل القهر وتفيض النشوة " [٢١].

غمرت " وليد " السعادة لقيامه بأول عملية يكلفه بها " سليم " ليحكي لأحفاده عن أعماله البطولية، عن زمنه الذي لا

يفهم بالكلام بل يفهم بالحجر، يحاول وليد توعية أهل القرية، ولكن القرية تنقسم في رأيها بين كبار السن السلبيين الـذين شلهم الخوف عن التفكير، يشن اليهود هجوماً على القريـة، يقوم الشباب بالتصدي لهم بالحجارة، والصبايا بالماء لإبطال مفعول القنابل، ويستشهد " سليم " ويصبح رمـزاً للمقاومـة، يسري روحه في الشباب، وفي نهاية القصة يقول " وليـد " " سليم لم يمت، سليم معنا للأبد. سليم يقول لكم لا تصدقوا أنه يموت. سليم يقول انتبهوا ... ينزلون من الطائرات ... سليم يقول لكم اصمدوا، واحموا كل البلد ... سليم يحبكم وينتظـر أن يسمع أخباركم المشرفة. سليم معكم في كل مكان. سـليم يوصيكم بأن تدفنوه في تراب وطنه المحرر. سليم لا يمـوت ... لا يموت ... لا يموت ... وانطلق يجري باحثـاً عـن مجموعة أخرى "(٢٢).

أما محمد نفاع في قصته " الجنرال "(٢٣) فيصـور بشاعة اليهود ووحشيتهم في تعاملهم مع الشعب الفلسـطيني، فالجنرال يأمر بجمع الأطفال لقتلهم أمام أمهاتهم اللاتي جئن يطالبن بالإفراج عن أزواجهن متحدين الأخطار، غير مبالين بالموت، رغم المنشورات المحذرة من أي تجمع، ويصـف



الكاتب دور المرأة الفلسطينية في النضال والدفاع عن أرضها، " لاحظ الحراس طابوراً صامتاً متقدماً وافر العدد من النساء ":

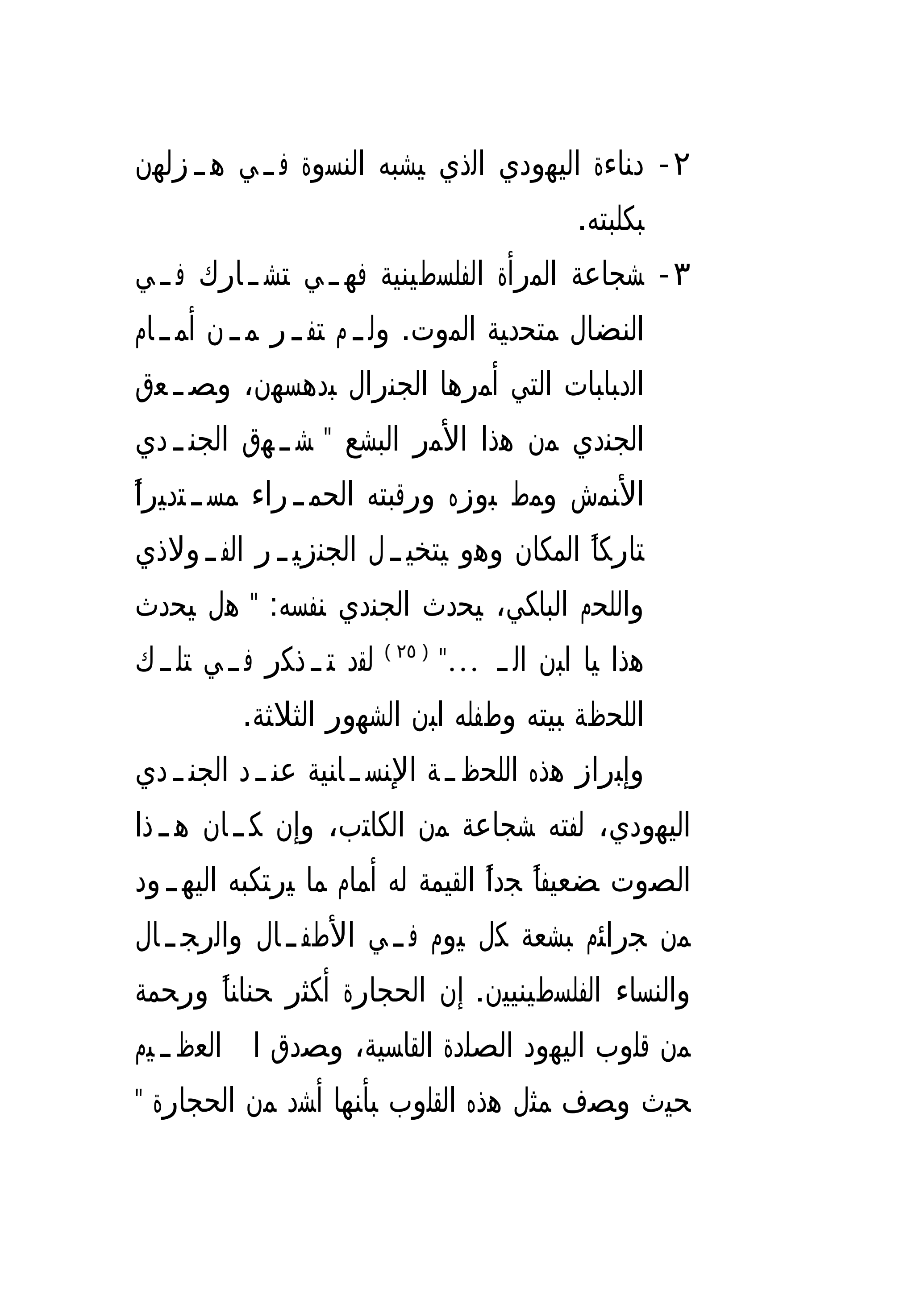
- " وين - أشهر الحارس حربته في وجه الأولى وقد برز ثدياها الرخوان المسودان حول الحلمتين في هالة ضيقة كفنجان صيني مترع بقهوة مع حليب، مما ذكره بكلبته وأثدائها الرخوة المهدلة. وقبل أن يتمكن من الاستفسار اندفعن بصخب وطيش غاضب إلى ساحة المركز معهن أطفال رضع في الأقطمة لهم عيون داكنة ضيقة كزهرات تتفتح في الغسق، وكل طفل ملفوف هو الآخر على شكل اسطوانة.

- " قتلتم رجالنا وأزواجنا

- " سجنتموهم لا نعرف أين في سجونكم ذائعة الصيت. أطفالنا هنا حتى تطلقوا سراح الرجال المعيلين " [٢٤].

فالكاتب يبين في هذا الوصف التالي:

١- وحشية اليهود في اغتيالهم للأطفال.



٢- دناءة اليهودي الذي يشبه النسوة في هزلهن بكلبته.

٣- شجاعة المرأة الفلسطينية فهي تشارك في النضال متحدية الموت. ولم تفر من أمام الدبابات التي أمرها الجنرال بدهسهن، وصعق الجندي من هذا الأمر البشع " شهق الجندي الأنمش ومط بوزه ورقبته الحمراء مستديراً تاركاً المكان وهو يتخيل الجنزير الفولاذي واللحم الباكي، يحدث الجندي نفسه: " هل يحدث هذا يا ابن الـ ..." [٢٥] لقد تذكر في تلك اللحظة بيته وطفله ابن الشهور الثلاثة.

وإبراز هذه اللحظة الإنسانية عند الجندي اليهودي، لفته شجاعة من الكاتب، وإن كان هذا الصوت ضعيفاً جداً القيمة له أمام ما يرتكبه اليهود من جرائم بشعة كل يوم في الأطفال والرجال والنساء الفلسطينيين. إن الحجارة أكثر حناناً ورحمة من قلوب اليهود الصلدة القاسية، وصدق ا العظيم حيث وصف مثل هذه القلوب بأنها أشد من الحجارة "

إن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار " [٢٦]، ولنقرأ وصف الكاتب لمشهد مقتل الأطفال " ضربت هبـات الريح الساخنة آذان الجنود ووجوههم ومع صـدمات الريح أنصت الجنود الراكضون إلى طلقات النار ... واحدة، اثنتان، خمس، عشر طلقات صماء خرسـاء مكتومة بالتمام. بلا صدى وبلا ترجيع ومن الطبيعي أن تكون كذلك رأس الطفل الطري بشعره الحليبـي الوبري الخفيف كغرسات قمح هشة برضيعة تلمـس رحيق الأرض العذب لم يصمد أمـام الرصاصـات الساخنة، انثقبت عشـر جمـاجم رخـوة فانـدلعت أحشاؤها. دماء ودماغ وكسرات عظـام مغموسـة بسائل أحمر. وخصلات شعر شفتطها النار. معسـها الرصاص معساً. كبرت عيون الأطفال للحظة فـي محاجرها كزهرات اكتمل تفتحهـا: انفلتـت نيـران زاعقة مخيفة قصيرة ذات أنـين وتـري كـالمواء المعذب ... وتوجعات عميقة مبحوحة ذابـت للتـو مصدومة وحركات قاصرة من الأجسام المدمجـة " [٢٧] ويتباهى الجنرال بوحشـيته لأن هـذه الـدماء

ولحوم الضحايا ستتحول نجوماً كالشارات على كتفه، ويختم الكاتب القصة بحمل الريح للخليط من الدماء والبكاء " ظلت الريح تهب، وهي في طريقها إلى كل الجهات، تحمل معها هذا الخليط من الدخان والبكاء الأخير والحليب المقتول المسفوك إلى صدور الأمهات والعذارى في بقاع الأرض والمياه الآتية العابرة من هنا تصل إلى البحر الكبير ... إلى قلب الأرض ... الأرض الأم " [٢٨].

لقد استطاع الكاتب أن يستثير غضب المتلقي على وحشية اليهود اللاإنسانيين بالمشاهد التي قدمها في صور واقعية حية متحركة.

لقد اعتمد الكاتب على السرد الوصفي الشاعري مما أبعد القصة من الوقوع في المباشرة والتقريرية، وهذا سنراه في معظم القصص التي سنتحدث عنها، وهذا راجع إلى إدراك المبدعين للقيمة الفنية.

وفي قصة أخرى بعنوان " صباح بعد انحسار الغطاء " [٢٩] لسعيد نفاع يبرز الكاتب دور

المرأة الفلسطينية في النضال من أجل تحرير فلسطين، فنجد " صباح " بطلة القصة المتزوجة من هاشم المحكوم عليه بالسجن، لاشتراكه في مقاومة اليهود، كم تحمل العذاب والآلام في السجن، وزوجته صباح تتحمل آلام الحمل الأخيرة، وتسترجع ذكرياتها مع زوجها هاشم " أسندت صباح جسدها الثقيل بحركة سريعة أحست ألمها، فقد بعد أن استوت في الفراش، فأحاطت خاصرتيها بيديها ضاغطة متأوهة فالحمل الأول متعب، وقبل أن يتململ " هاشم " كانت الهراوات وأعقاب البنادق تتناوشه، لا تعرف صباح كيف انتصب بين تلك الأشباح، لم يتأوه، ولم يتكلم فالصمت أحياناً أكبر تحد، واقتيد بلباس النوم، لم يلتفت إلى " صباح " التي كانت جالسة مكانها تقاوم ألم ظهرها وخاصرتيها، ابتعد هدير السيارات، وعندها فقط أحست بالريح العادية قد ضربت جنبات البيت وجسدها. فتحاملت وقامت إلى الباب أغلقته واضعة خلفه كرسياً والتحفت الفراش " [٣٠]، لقد صور الكاتب كيف ربط

الألم بين الروحين هاشم وزوجته صباح، لتواصلهما وإحساس كل منهما بالآخر، وكيف تحمل الزوج آلام التعذيب وتحملت " صباح " آلام الحمل، وكيف صبر الإثنان وقاوما حتى النهاية. فصباح لم تتخل عن هاشم وهو في سجنه، تمسكت به ووقفت بجانبه تشد من أزره، كيف تنسى " هاشم " حبها الأول، لقد خطبت له وهو في السجن ... رمز الأمل، والحياة، رمز للفجر الآتي لا محالة ... ويصف الكاتب مشاعر " صباح " مستبطناً ما دار بخلدها " كل شيء غريب في حياتها " هل كان يجب أن تحب هاشم ... وهل كان يجب أن يجرها حبها إلى السجن وراءه. والأغرب ... خطبتها لهاشم وهو خلف القضبان، فتاة تخطب لسجين، ما الذي حدا بها؟ أهو الحب المراهق؟ أم هو الإيمان القوي بحتمية زواج السجن، وزوال السجان أمام إرادة الحياة؟ ألم تجهد نفسها يومها بالتفكير بكل هذا، والغريب أن تمر بخلدها هذه الأفكار اليوم بعد مضي كل هذه السنين" (٣١).

تعذب " صباح " تعذيباً شـديداً، ويضـربها الجنود اليهود، تصاب بركلة في بطنها، " كـل مـا تذكره اليوم أن زنار الألم اشتد وما كـادت تطـوق خاصرتيها بكفيها حتى تراءت لهـا رجـل ترتفـع لتصيب أسفل بطنها. وعندما فتحت عينيها الذابلتين، المحاطتين بهالتين تميلان إلى السواد، كـان يلفهـا الأبيض من كل صوب., وألم شديد في بطنها تغلـب على ألمها العادي. تحسسته في البدء ثـم بصـعوبة أسندت رأسها لترى بقعة كبيرة زرقاء داكنة سرعان ما تلاشت، وبعد أيام أفاقت علـى صـراخ نضـال وتحرير، وصوت حوامة عبـر المـذياع يخالطـه صوت المذيع المعلن أنها تحط علـى أرض لبنـان "(٣٢).

والقصة رمز للتحدي واستمرار النضال حتى يتحقق النصر الكبير، وتعود أرض فلسطين الحبيبة، نلاحظ في القصة التكثيف، والسرد الوصفي الأدبي.

أما في قصة " إسحب تربح "(٣٣) لصـبحي حمدان فبين الكاتـب فيهـا اسـتعداد الفلسـطينيين

للإضراب يوم ١٥ آيار (مايو). وبطل هذه القصة بائع ترمس يبيع أيضاً أوراق السحب، يـدعو ا أن يبيع بضاعته كلها ليشارك في الإضـراب غـداً ... يعود إلى داره فوجد أهله حزانى، لأن اليهود أخذوا أخاه " عندما وصل الدار ودق الباب، ودخل صـفعه الوجوم. وجو كئيب كان يخيم على من فـي الـدار رأى بعض النسوة الجارات يتحلقن حول أمه. حـدق ملياً في عينيها، ثم ألقى بورقة السحبة، كان لم يبـق بها إلا رقمان يتعلقان في جانبها، جاء أخوه الأصغر وقال بلهجته المعهودة: أخـذوا " جميـل " اليـوم. واغرورقت حينئذ عينا أمه وحضنته فبكى، وتساءل بعد أن هدأ قليلاً واستوعب ما حدث:

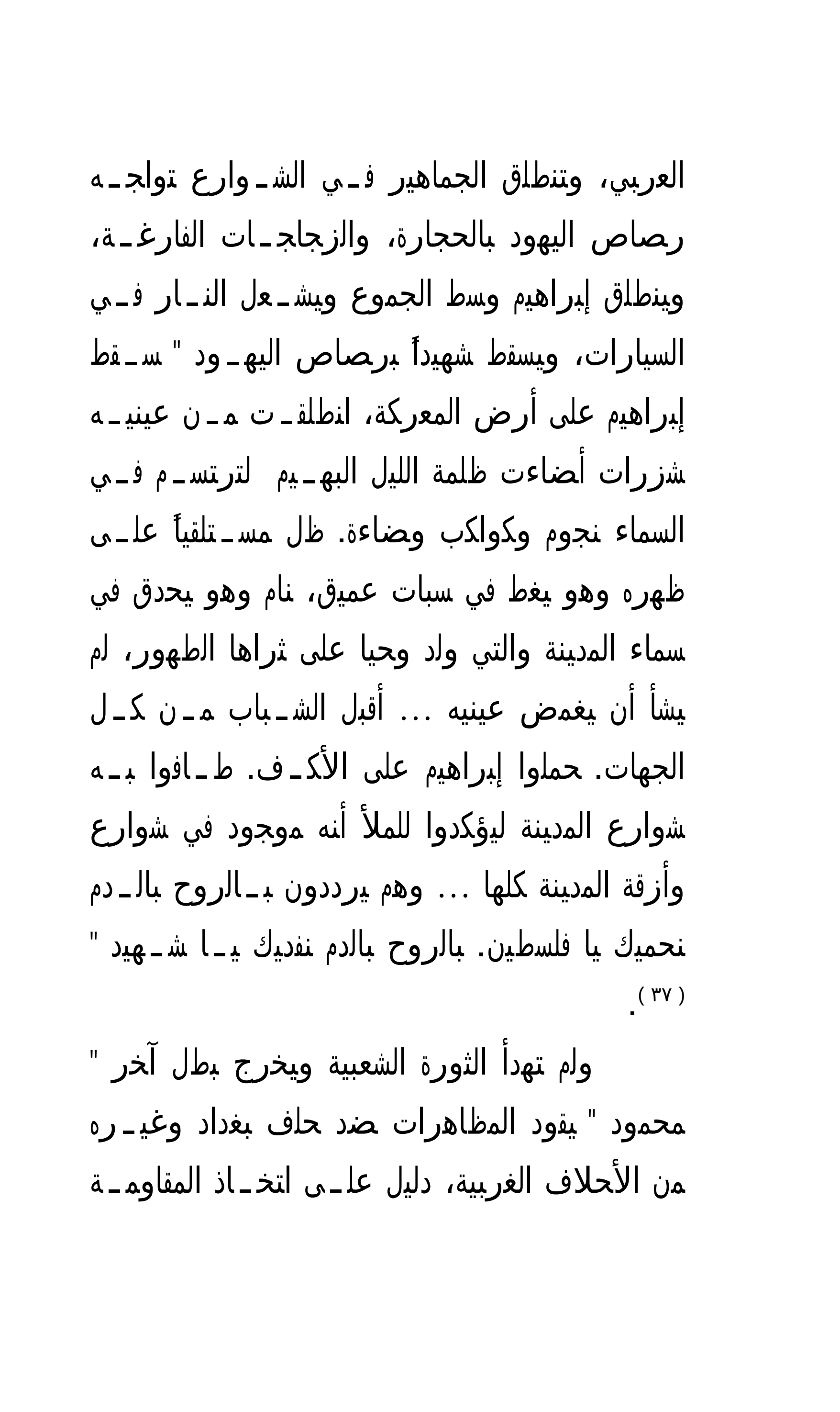
ـ أين أبي؟ ألم يعد أبي بعد؟ " (٣٤).

وفي يوم الإضراب لم يتخل بـائع التـرمس عن القيام بدوره في مراقبة الطريق ليحذر الآخـرين من الخطر " في صباح اليوم التالي ١٥ آيار (مايو) يوم الإضراب والمواجهة، كان يقـف عنـد ناحيـة الشارع الرئيسي مشرفاً على مفترق طريق حساس،

مستكشفاً الأطراف البعيدة، والقريبة، ممسـكاً بـين أصابعه الغضة ورقة السحبة، محـولاً عينيـه بـين الحين والحين صوب الشباب المتأهبين علـى حـذر ليسمعوا نداءه العصفوري الحاد منذراً إياهم على أي خطر أو مناجاة. يتردد مموسقا في جنبات الشـارع المقفر من السابلة، والقاصي والداني: اسحب تربح " (٣٥).

فبائع الترمس وورق السـحب رمـز لكـل الفلسطينيين الذين يقدمون أرواحهم فداء للوطن، وقدم الكاتب صورة حية من الشارع الفلسطيني، والقصـة مقسمة إلى فقرات، يرتبط بعضـها بـبعض ببـائع الترمس، وتواصل الأحداث.

أما في قصة " طـز ... قيـد لـه " (٣٦) لفياض فياض، فيبرز الكاتـب دور المسـجد فـي النضال الوطني، وفي تقوية الإيمان لدى الجمـاهير لتواصل النضال، فجموع الجماهير تتحرك من ساحة المسجد إثر النداء " ا أكبر ... ا أكبـر ... يـا مستوطن بره ... إرحل عن المرة " ويشتعل الوجدان



العربي، وتنطلق الجماهير فـي الشـوارع تواجـه رصاص اليهود بالحجارة، والزجاجـات الفارغـة، وينطلق إبراهيم وسط الجموع ويشـعل النـار فـي السيارات، ويسقط شهيداً برصاص اليهـود " سـقط إبراهيم على أرض المعركة، انطلقـت مـن عينيـه شزرات أضاءت ظلمة الليل البهـيم لترتسـم فـي السماء نجوم وكواكب وضاءة. ظل مسـتلقياً علـى ظهره وهو يغط في سبات عميق، نام وهو يحدق في سماء المدينة والتي ولد وحيا على ثراها الطهور، لم يشأ أن يغمض عينيه ... أقبل الشـباب مـن كـل الجهات. حملوا إبراهيم على الأكـف. طـافوا بـه شوارع المدينة ليؤكدوا للملأ أنه موجود في شوارع وأزقة المدينة كلها ... وهم يرددون بـالروح بالـدم نحميك يا فلسطين. بالروح بالدم نفديك يـا شـهيد " [٣٧].

ولم تهدأ الثورة الشعبية ويخرج بطل آخر " محمود " يقود المظاهرات ضد حلف بغداد وغيـره من الأحلاف الغربية، دليل علـى اتخـاذ المقاومـة

مساراً جديداً تبعاً لمستجدات الشعارات السياسية التي تطرح في كل مرحلة، وقال " لكـل زمـان دولـة ورجال ... الحمد ... أن المسيرة لم تتوقف وكل جيل يأتي أقوى ممن سـبقه ... إذن الـدنيا بخيـر والأمور تسير إلى الأمام " (٣٨).

يبين الكاتب في القصة أن النظال الفلسطيني لن ينقطع، وكلنه مستمر جيلاً بعد جيل حتى تحـرر الأرض، ويشرق عليها نور الحرية والحياة الجديدة.

ويختم الكاتب القصة بالبطل الثاني: محمود " يسير في الشارع يتذكر الماضي وأسماء الشـوارع التي تغيرت " نذكر هذا التزوير لتاريخنا الماضـي لتشويه آمال الأجيال القادمة ... أخـذ يـردد علـى مسمع من زوجته التي أسرعت لفتح البـاب وهـي تسأل عما حدث فيقول: " فـي المستشـفيات تنمـو الطحالب وتتكاثر كل الفطريات والجراثيم ... إنهـا تنمو بنفس الطريقة وينتظرها نفس المصير عنـدما تسطع شمس الصيف الحراقة ... لقد نجحوا بعـض الشيء إلى حين لكن هيهات أن يستطيعوا منع جريان

النهر لينضم لأمواج البحر الهادر. قال هذه الكلمات وهو لا يكاد يستطيع التقاط أنفاسه بسبب تلوث الجو من قنابل الغاز " [٣٩].

فالكاتب هنا كشف عن قضية خطيرة يجـب أن ننتبه إليها وهـي محـاولات تزييـف التـاريخ الفلسطيني، وسرقة التراث الفلسطيني ونسـبته إلـى اليهود، لأنهـم بـذلك يريـدون محـو الشخصـية الفلسطينية، وقد أشار الكاتب إلى هذه المحاولات في الفقرة السابقة، من تغيير لمعالم المدن، وتغيير أسماء الشوارع ... فيجـب علـى المؤسسـات الثقافيـة الفلسطينية والعربية عامة اتخاذ الخطوات اللازمـة لمواجهة هذه المحاولات الخطيرة بسرعة وحزم.

أما نبيل عودة في قصـته " الحـاجز " [٤٠] فيبين التالي:

١- مواجهة أطفال الحجـارة رصـاص العدو اليهودي بشجاعة وجرأة.

٢- بيان الجانب الإنساني والوفاء عنـد العربي، والتزامه بواجبه الإنسـاني

لأي إنسان حتى ولو كان عدواً لـه مثل اليهود.

٣- بيان الموقف العربي تجـاه أحـداث القضية الفلسطينية.

٤- كشف نفسية اليهود الخسيسـة ومـا جبلت عليه من غدر وعـدم الوفـاء بعهد ورد جميل.

الطبيب أحمد يسرع إلى المستشفى فور اسـتدعائه، فتحدثه نفسه " الأحداث في القطاع انفجرت من جديد، عـدد مجهول من القتلى وعشرات الجرحى ... هذا ما فهمه أحمد من المكالمة التليفونية، حيث طلبوه في المستشفى للمسـاعدة ... وهذا الطلب بحد ذاته يشير إلـى العـدد الكبيـر مـن الإصابات الصعبة " [٤١].

ويتساءل أحمد مستنكراً " هل تكون عملية تخلـيص شعب من معاناته بقتله، بتصفيته جسدياً ... قد تبـدو هـذه الفكرة إنسانية في هذا الزمن الردئ " [٤٢]... ويستطرد أحمد معلقاً على سلبية الدول العربية، وعدم تحرها لاتخاذ خطوات إيجابية تساند هذه الانتفاضة الأولى الشعبية " الدول العربيـة

لا تحرك ساكناً لفضح الواقع المأساوي لشعب صـار القتـل حادثاً يومياً في حياته ... حتى رد فعل بسيط معدوم مع أنهم يدعون أن فلسطين قضيتهم الأولى " (٤٣).

ويؤكد الكاتب أن النضال الفلسطيني لن يتوقف رغم المثبطات العربية والدولية، وسيتوارث النضـال التحريـري الأجيال القادمة.

وفي طريق أحمد إلى المستشـفى، وعنـد حـاجز التفتيش، يطلب منه الجندي اليهودي عـلاج أحـد الضـباط المصابين عندما عرف أنه طبيب.

ويفجر الكاتب الصراع النفسي لدى أحمـد ... هـل يقبل أم يرفض ... يأتيه صوت الجندي:

ـ " الوقت لا يسمح بالجدال ... أسعفه وبعـد ذلـك نرى.

ـ " هل كانوا يسعفونني لو كنت أنا المصاب؟

ـ " أنت طبيب ... والطب مهنة إنسانية

ـ " ولكنني فلسطيني ... والحديث هنا عـن العـدو ... وليس مجرد عدو ... أربعون سنة ونحن نعاني مـرارة الضياع والتشرد ... وما زلنا ...

ـ " كفى كفى، سنعالج قضية فلسطين فيما بعد أنـه ينزف ولا تنسى أنه بشر مثلنا ... إنسان.

ـ " إنسان كم يضحكني هذا الوصف

ـ " الوقت لا يسمح للسخرية ... أنقذ الإنسان الذي فيه

ـ " لو كان فيه بقية إنسان ... لـرفض الاحـتلال، لرفض أن يمارس العنف ضد شعب مشرد أعزل.

ـ " وهل ذنبنا أننا نطالب بحقنا ـ " لا تفقد إنسانيتك ... تذكر أن قوتنا في إنسانيتنا

ـ " أعرف، ولكن لا أستطيع أن أنسى أنـه عـدو شرس ... لا يرحمنا ... وما يحدث الآن يثبت ما أقول.

ـ أنت طبيب وهو مجرد جندي مأمور

ـ " بأي حق أساعد جندياً عدواً، ليقف مجدداً يوجه سلاحه نحو شعبي ".

ـ أنت طبيب وهو مجرد جندي مأمور " (٤٤).

ويتغلب الجانب الإنساني على الطبيـب " أحمـد "، ويعالج الضابط، وتمر الأيام وتستمر الأحـداث، ويخـرج " أحمد وزوجته وابنه للنزهة، ويتعرض وأسرته للتفتيش، وبعد

تفتيش سريع، يسمح له وأسرته بالعبور، ثم قام الضابط الذي عالجه، وقال أحمد لزوجته: إنه يرد الجميل لقاء معالجته لـه ... وكانت المفاجأة أن أطلق الضابط الرصاص على زوجة أحمد وابنه ... وهكذا رد الضابط الجميـل للطبيـب الـذي عالجه.

لقد أدار الكاتب المونولوج بصورة أبرزت الصـراع النفسي الذي عاناه الطبيب حتى يصل إلـى قـرار معالجـة الضابط اليهودي، صراع بين واجبه كطبيب وواجبه أن يعالج أي إنسان حتى ولو كان عدوه، وبين واجبه الـوطني الـذي يفرض عليه أن يقتل الضابط بدلاً من أن يعالجه. كما وضع " أحمد " في موقف حرج بين الجنود اليهود، أي بين الحيـاة بمعالجته للضابط، وبين الموت إذا رفض معالجته، وأن كان هذا سبباً من الأسباب التي يمكن أن يؤثر في قرار " أحمـد " إلا أنني أستبعد أن " أحمد " تأثر بهذا السبب، وأرجح أنه لـم يخطر على باله موته أو حياته، لقد اتخـذ قـراره بـوازع إنساني.

لقد نجح الكاتب في إبراز الفرق بين أخلاق العربـي وأخلاق اليهودي، بذكر هذين الموقفين، موقـف " أحمـد "

الطبيب الإنساني، وموقف الضابط اليهودي الغادر وهو رمز لليهود عامة الذين لا يوفون بعهد ولا يحترمون الجميل. في طبعهم الغدر والخيانة.

ومما يؤكد رأينا في تصرف " أحمد " ما قام به بعـد قتل زوجته وابنه، قام بعملية انتحارية فدائية اتجه إلى الحاجز بسيارته لينتقم لزوجته وابنه، ويصف الكاتب حالته النفسية " وينطلق نحو الحاجز ... والألم يكاد يمزقه من الـداخل ... والضابط الكاوبوي أمامه ... صدى الأصوات تتكـرر فـي ذهنه ... ساق في حذاء ممزق ... طفله يضحك ... ومـع ضحكاته يتدفق الدم ... تعابير عقيمة تتصارع في ذهنه ... زوجته لا تزال تبتسم ... وكأنما تقول له هذا ما جنيت أنـت علي ... يضغط برجله على دواسة الوقود ... حتى يجعلهـا تلامس أرضية السيارة ... يداه تتسمران فـوق المقـود ... نظراته تتمغنط فوق صلعة الضابط الكاوبوي الـذي يلـوك سجائره " (٤٥).

مزج الكاتب بين السرد الوصفي وبين الحوار الـذي ينمي الصراع الدرامي، أولاً: بالحديث النفسي، وثانياً: بذكر المواقف المتضادة، لقد أثار الكاتب سؤالاً مهماً تفجر بصورة

خاصة بعد غدر الضابط وعـدم حفظـه جميـل " أحمـد " بمعالجته، وهو هل كان من الواجـب أن يعـالج " أحمـد " الضابط اليهودي خصوصاً والوضع أثناء الانتفاضـة حالـة حرب لها قوانينها الاستثنائية، ويظل السؤال حائراً هل كـان يعالجه أم لا؟ القصة يشوبها نغمة سخرية من موقف الـدول العربية السلبي تجاه الانتفاضة الأولى. ويجدر الإشارة إلـى قصة أخرى تناولت موقف " أحمد " الطبيب، وهـي قصـة بعنوان " دماء " (٤٦)، للكاتب العراقي محمود سعيد، كتبهـا عن الحرب العراقية الإيرانية التي استمرت ثماني سـنوات، بطلها طبيب عجوز نشيط يقوم بواجبه لإنقاذ الجنود بالعلاج أو يبتر سيقانهم، ويساعده طبيب شاب يدعى " سعد " الـذي يتأثر بمنظر الدماء، وقطع السيقان، لنقرأ وصف الكاتب له " ارتج علي سعد، كان شاباً قزماً بالنسبة للجراح، نحيفاً تلمـع عينها الصفراوان في رعب يكبحه إحساس بتوازن مصطنع، وقدر أن أي آلة يمسك بها تسقطها أصابعه المرتعشة، لم يكن هناك أية قوة تستطيع كبت الرجفة في أعماقه، كل تلك الدماء على الأسرة وفي السقف. وتحت الأرجل والأغطية والنقالات والملابس، والوجوه والأيدي، أنى يتلفت ... في كل مكـان

دماء، رائحة بشرية حادة تخترق عينيه ... خياشيمه، حاسة اللمس، يديه ... تتغرس في مسامات جلده، تخترق دماغه وأحاسيسه ... تحتل معدته الخاوية " (٤٧).

الجراح العجوز، يقوم بواجبه بإخلاص لإنقاذ الجرحى، رغم القصف خارج المستشفى، ورغم الأعداد الكبيرة الواردة من الجرحى ... يفاجأ الجراح العجوز بابنه بين الجرحى يحتضر، تذهله المفاجأة ولكنه يستمر في القيام بواجبه لإنقاذ الجرحى، ويصف الكاتب مشاعر الجراح العجوز في هذه اللحظة " سمرت المفاجأة عيني الدكتور ... نقل نظراته بين الممرضة والطبيب المستجد والعريف، جمدت الحيرة نظراته ... مشاعره، أفكاره ... توقف الزمن في القاعة برهة ... نظر إلى الإيراني ... إلى المنشار ... رفع عينيه نحو الممر ... ارتعشت يمينه ... بدا لعيني الشاب أنه فقد تركيزه. أخيراً وضع المنشار على المنضدة " (٤٨).

كانت المفاجأة التي أسعدت الجراح العجوز أن الجريح ليس ابنه ولكنه شاب إيراني، ولم يتراجع عن علاجه، وقام بواجبه تجاهه ... يحتضر الشاب، وتواردت

صور حياة الطفولة، أمسك الطبيب بيد الشاب، رأى فيه ابنه المشارك في الحرب، وظل ممسكاً بيده حتى لفـظ أنفاسـه " كانت حرارة الجندي شديدة. ابتسم ابتسامة عريضة، أغمض جفنيه فيما تدحرجت دمعتان على وجه الطبيـب العجـوز " [٤٩].

في هذه القصة يبين الكاتب أن المشاعر الإنسانية لا تعرف الاختيار، لأنها مشاعر تعلو فوق كل اعتبار تفـرض على الطبيب أو أي إنسان ألا يقف موقفاً لا إنسانياً من إنسان يطلب الغوث والإنقاذ حتى ولو كان عدواً. والذي قوى هـذه المشاعر الإنسانية عند الطبيب العجـوز أن تخيـل الشـاب الإيراني شبه ابنه، وكأنه يريد أن يقول أن الشباب يزجـون في حروب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، ولكن صاحب الناقة هم الزعماء الذين يشعلون تلك الحروب.

لقد وضع الكاتب محمود سعيد في قصته هذه البطل في نقطة الصراع، كما فعل نبيل عودة في قصته الحـاجز، وغلب كلاهما الجانب الإنساني رغم ن حالة الحرب تجيز أي تصرف تجاه العدو. ولهذا أقدم نموذجاً ثالثاً قصة " الجنـدي الآخر " [٥٠] لعبد الستار خليف، لقد تصرف بطـل القصـة

عكس تصرف بطلي القصتين السابقتين رغـم أن الظـروف واحدة فالبطل في حالة حرب أيضاً، تضعه المصـادفة مـع عدوه اليهودي في خندق واحد يطلب منه إنقاذه ويـرفض أن يعطيه الماء، ويتركه يموت.

الكاتب بدأ بنسج أحداث القصة نسجاً دقيقاً من خلال عرض المواقف التي يسترجعها البطل من رحلة ذكرياته، مع ذلك الجندي الذي يأتيه صوته من بعيـد، وملامحـه غيـر واضحة في الظلام، وحساباً أنه جندي مصري، ثم يفاجئنـا الكاتب بأنه جندي يهودي جريح من المشاركين في المعركة الدائرة، طلب اليهودي ماء، رفض الجنـدي المصـري أن يسقيه، وأفرغ زمزاميته، وكسر كوباً كان يضع فيـه نباتـاً أخضر وهو رمز للأمل " مددت يدي، لابد أنه يعـاني مـن الألم مثلما أعاني أنا، حاولت أن أقترب منـه حتـى يصـله الماء. استقر نظري على النجمة السداسية، نجمة داود، تذكر فوراً أمه وزملاءه الشهداء بيد اليهود، فألقى بالزمزمية بعيداً " ذراعي الممدودة على كامل لامتـدادها، تحمـل زمزميـة المياه، أعادتها نحو صدري. بدأ الآخر يزحف ويقترب مني ... ربما لن أقوى على منعه أو الوقوف في وجهه. رفعـت

يدي عالياً وسكبت كل ما تبقى فيها على أرضـية الخنـدق. وأحسست بارتياح. قال بحزن ويأس: كنت أريد الماء، قلـت له دون خوف: أنت عشت في حارة اليهود، شربت مـائي، أكلت خبزي وجئت الآن تقتلني. وطوحت بالزمزمية الفارغة بعيداً، فاصطدمت بالجدار الخشن وأحـدثت صـوتاً وهـي تتدحرج على الأرض، وصرخت في وجهه عنـدما اقتـرب مني أكثر: ماء النيل يجري في دمي، وفي عروقي، ولـيس لك، ليس لك " (٥١).

فبطل هذه القصة تصرف تصرفاً طبيعياً، فالإثنان في حالة حرب، وفي ميدان الحرب، أي أن الإثنين في مواجهة، سيقتل أحدهما لآخر كما أن الكاتب قدم المبررات التي تثبت خيانة اليهود، فاليهودي كـان يعـيش فـي حـارة اليهـود بالإسكندرية، أكل عيش مصر، وشرب ماءها، والآن يقتـل أبناءها، فالمنطق الطبيعي ألا يسعفه ويتركه يلفظ أنفاسه.

ونختم النماذج التي اخترناها بقصة " وتكون لنا راية " (٥٢) لنبيه قاسم، وفيها نرى البطل شاباً يؤمن بالمقاومة ضد اليهود لأنها الطريق الوحيد لتحرير فلسطين، ويجب أن تكون الهدف الذي نسعى إليه جميعاً، انخرط في صفوف المقاومـة

بكل مشاعره دون تفكير " لم يسأل نفسه ولو لحظة، لماذا أنا هنا؟ فقد كان بكل إدراكه ومعرفته ومشاعره يـرتبط بهـذه المواقع التي يقاتل فيه، تماماً كما يدرك ويعـرف أن قريتـه البعيدة في الخليل ... هي المكان الذي ولد فيه ويسكنه أهلـه ... وعرف فيه أول حب ... ويهتف ضد الاحتلال:

ـ " ليسقط الاحـتلال ... بـلادي ... بـلادي ... الفاشية لن تمر " (٥٣).

ويشترك مع جماعته في الهجوم على العـدو الـذي يمطرهم بوابل من الرصاص، يرفض أن يسـتجيب لطلـب زملائه بترك المكان حرصاً عليه، حـين يتـذكر حبيبتـه، ويتذكر كلماتها التي قالتها بعد استماعها إلى تصريحات ذلك الجنرال الذي وصف العرب بالصراصير ... ويـرفض أن يترك مكانه لينتقم لأرضه وشرفه، ولكرامته وكرامة العرب الذين وصفهم الجنرال بالصراصير.

ونلمس في القصة نغمة سخرية من الوضـع الـذي يعيشونه، ومن موقف العرب من الانتفاضة الأولى.

فتداعى في خيال البطل وحبيبته أنهمـا صراصـير فماذا يكون الحال؟

" وتخيلا معاً ملايين الملايين من هذه الصراصير وهي تحمل شاحنات لا عد لها توزعها على كل محطات العالم، وفي كل الموانئ تحقيقاً لرغبة وزير كبير وجد أن الحل الأمثل لتزايد السكان العرب ترحيلهم في شاحنات كبيرة " ويأمل البطل وحبيبته أن يهتم بهم العالم " قد يهتم بنا العالم يومها عندما يضايقهم وجودنا وتكاثرنا فيعملون على حل قضيتنا بإيجاد وطن مستقل لنا لا يقربنا فيه أحد ... وقد يتفق الجميع على اختراع سلاح فتاك يقضي على وجودنا في هذا العالم فيحلون بذلك القضية ويهدأ الجميع " (٥٤).

نلمس بوضوح سخرية الكاتب من الوضع المأساوي الذي يعيشه الفلسطينيون والعرب جميعاً، ويسخر سخرية حادة من الموقف العربي من القضية الفلسطينية، ولكن رغم هذا يرى الكاتب أن الانتفاضة هي الأمل الذي يطلع الفجر، وتفتح طريق المستقبل إلى النصر الأكيد على رصاص العدو، وصواريخ أمريكا، وسيعرفون أننا لسنا صراصير، وقد أبرز الكاتب هذا الأمل بانبعاث أصوات شباب الانتفاضة من التليفزيون تردد بقوة:

ـ بـلادي ... بـلادي ... ا أكبـر ... ليسـقط الاحتلال ... الفاشية لن تمر.

لقد تحقق بعد سنوات قليلة ما توقعه بطـل القصـة، فالأمل لا يموت، والأبطال لا يموتون، بل يتوالـدون، لقـد تفجرت الانتفاضة الثانية (سبتمبر/ أكتوبر ٢٠٠٠ م) أشـد وأقوى وأعنف من الانتفاضة الأولى تنذر بـريح صرصـر عاتية تقتلع اليهود من جذورهم.

والتغير الحقيقي الذي يجب الإشارة إليه هو موقـف الدول العربية جميعها الآن من الانتفاضة الثانية، لقـد تغيـر تماماً عن موقفهم من الانتفاضة الأولى، لقد اتفقوا على كلمة سواء للوقوف جدياً وعملياً بجانب الإخوة الفلسطينيين بكـل الإمكانات حتى النصر.

لم أشأ أن أورد نماذج مـن الإبـداع الأدبـي فـي الانتفاضة الثانية لأن ما نشر منه ما زال قليلاً، ولم يكتمـل بعد، مثل الإبداع في الانتفاضة الأولى الذي اعتمدت عليه في هذه الدراسة.

(٣) الجوانب الفنية:

مما سبق نخرج بالملاحظات التالية:

١- الخطاب الأدبي الفلسطيني والعربي عامة الذي تناول القضية الفلسطينية تغير من خطاب بكائي استسلامي تشاؤمي شاع في الستينات قبل انطلاق العمل العسكري الفلسطيني ضد اليهود، وبعد هزيمة ١٩٦٧ م إلى خطاب تحريضي متفائل مستبشر بالنصر، وقوي هذا الخطاب بعد نصر أكتوبر ١٩٧٣ م، وهجمات حزب ا في لبنان التي أرغمت إسرائيل على الانسحاب منها، والانتفاضتان الفلسطينيتان الأولى ١٩٨٧ م، والثانية سبتمبر/ أكتوبر ٢٠٠٠ م، مما كان له أثر كبير في رفع الروح المعنوية لدى الجماهير العربية.

٢- انتفاضة أطفال الحجارة جاءت مفاجأة نزلت على رؤوس اليهود نزول الصاعقة لفشل محاولاتهم غسل عقولهم ليضمنوا ولاءهم،

فكانوا القنبلة الموقوتة التي انفجرت الآن في الوقت المناسب لتحرقهم وتدمرهم.

٣- تجرؤ الكتاب في نقد موقف الدول العربية من الانتفاضة، وبيان سلبيتها، وكذلك مناقشة مدى أهمية بعض الأحداث الكبرى مثل حرب العراق وإيران التي استمرت سنوات طويلة، وغزو العراق للكويت وفائدة هذه الحروب التي دمرت الإنسان العربي.

❖ **الجانب الفني:**

❖ **الشكل**:

يتضح في قصص الحرب والانتفاضة الصراع الدرامي المتفجر في أعماق الشخصيات، صراع ثنائي بين متضادين، الخير والشر، الواجب والعاطفة، مثل قصة " الحاجز "، و " دماء "، و " الجندي الآخر ". وقد اتخذت القصص أشكالاً مختلفة منها الشكل السردي، والوصفي، أو

شكل الفقرات المرتبطة بالفكرة الرئيسية التي تمثل عصب القصة. أما النهايات ففيها نهايات مغلقة، ونهايات مفتوحة.

❖ **اللغة**:

لأن القصص تعبر عن مواقف حارة تمثل بؤرة صراع لدى الشخصيات، لذا جاءت اللغة أدبية متوترة، ذات إيقاع سريع يتفق مع الحالة النفسية للشخصيات، وكثيراً ما تصل هذه اللغة إلى الشاعرية خصوصاً في حالات الأحاديث النفسية، والأسلوب بصورة عامة بسيط دون إسفاف، واضح دون سذاجة لا غموض فيه. واستخدام اللغة الشاعرية وصياغة الأسلوب في صور فنية أنقذ القصص من المباشرة التي نحذر منها، ويرجع ذلك إلى قدرة الكتاب الفنية.

❖ **الضمائر**:

تراوح استخدام الضمائر بين ضمير المتكلم الذي يقوم فيه الكاتب بدور الراوي محاولاً الدخول في أعماق شخصياته، وأحياناً أخرى يستخدم ضمير الغائب، حيث يتاح للكاتب التعليق على الأحداث، ومبيناً سلوك الشخصيات،

وتبعاً لذلك يتحدد الزمان الـذي يتحـدد فـي الحاضـر، أو الماضي، أو المزج بينهما من خلال " الفلاش باك ".

❖ **الشخصيات**:

الشخصـيات إيجابيـة باعتبارهـا تمثـل الأبطـال المناضلين/ الرمز للمقاومة والكفاح الذي يقتدي بـه، وهـذه الإيجابية تنبع من تسلحها بالوطنيـة الصـادقة والمتأججـة، والإيمان العقدي القوي مما يدفعها إلى الاستشهاد في سـبيل ا لتفوز بالجنة.

كما نجد في قصص الحرب والانتفاضـة البطولـة الجماعية، وكل شخصية في هذه الجماعة تعـرف دورهـا المنوط بها.

ورغم أن هذه الشخصيات نضالية تعيش في ميـدان المعركة إلا أنها شخصيات عاطفية، تحن إلى حياتها المدنيـة ـ في أوقات الراحة ـ فتتذكر الأسرة، والزوجة، والحبيبة، والأصدقاء، والأماكن الحبيبة لها، فالحنين يشد الإنسان فـي أي مكان، بستان، أو معركة.



هوامش الجزء الثاني

١- من مجموعة " يسألونك عن الخوف ": فتحي سلامة - نشرت هذه القصة بمجلة التحرير ١٩٧٣/١٢/٦
٢- من مجموعة " الظرف المغلق " محمود البدوي
٣- المصدر نفسه
٤- المصدر نفسه
٥- مجلة الرافد - الإمارات العربية - الشارقة - أكتوبر ١٩٩٤
٦- المصدر نفسه
٧- المصدر نفسه
٨- المصدر نفسه
٩- المصدر نفسه
١٠- المصدر نفسه

١١- مجلة الآداب ـ فبراير ١٩٩٦ م
١٢- المصدر نفسه
١٣- مجلة اليرموك ـ العدد ٢٧
١٤- مجلة المنتدى ـ العدد ٧١ ـ يونيو ١٩٨٩ م
١٥- تعريف بالنثر العربي الحديث: د. عبد الكريم الأشتر ـ مطبعة ابن حيـان دمشـق ١٩٨٢ ـ ١٩٨٣ م
١٦- الحرب: الفكرة ـ التجربة ـ الإبداع: سـيد الوكيل ـ الهيئة العامة للكتاب ـ ١٩٩٥ م
١٧- الحرب ... فكرة ـ تجربة ـ إبداع: السـيد نجم
١٨- صحيفة الخليج ـ الإمارات العربية المتحدة ـ الشارقة ٢٠٠٠/١٠/١٦ م
١٩- المصدر نفسه
٢٠- صحيفة الاتحاد الحيفاوية ـ ١٩٨٨/٧/١٢
٢١- المصدر نفسه
٢٢- المصدر نفسه

٢٣- صحيفة الاتحاد الحيفاوية ـ ١٩٨٨/٦/٢٤ م

٢٤- المصدر نفسه

٢٥- المصدر نفسه

٢٦- سورة البقرة ـ ٧٤

٢٧- المصدر نفسه

٢٨- المصدر نفسه

٢٩- صحيفة الاتحاد الحيفاوية ـ ١٩٨٨/٤/١٥ م

٣٠- المصدر نفسه

٣١- المصدر نفسه

٣٢- المصدر نفسه

٣٣- صحيفة الاتحاد الحيفاوية ـ ١٩٨٨/٧/١ م

٣٤- المصدر نفسه

٣٥- المصدر نفسه

٣٦- صحيفة الاتحاد الحيفاوية ـ ١٩٨٨/٢/١٨ م

٣٧- المصدر نفسه

٣٨- المصدر نفسه

٣٩- المصدر نفسه

٤٠- صحيفة الاتحاد الحيفاوية ـ ١٩٨٩ م

٤١- المصدر نفسه

٤٢- المصدر نفسه

٤٣- يشير الكاتب إلى مؤتمر القمة العربي الـذي انعقد بعد الانتفاضة الأولى عام ١٩٨٧ م

٤٤- المصدر نفسه

٤٥- المصدر نفسه

٤٦- مجلة لوتس ـ العدد ٧٠ ـ ديسمبر ١٩٨٩ م

٤٧- المصدر نفسه

٤٨- المصدر نفسه

٤٩- المصدر نفسه

٥٠- صحيفة البيان ـ الإمارات العربية المتحـدة ـ دبي ـ ٢٠٠٠/١٠/١٢ م

٥١- المصدر نفسه

٥٢- صحيفة الاتحاد الحيفاوية ـ ١٩٨٨/١٢/٢٢ م

٥٣- المصدر نفسه

٥٤- المصدر نفسه